الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم التاريخ**

دور السلطان نور الدين زنكي في الحروب الصليبية (541 – 569هـ / 1146 – 1173م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطلبة: **إشراف الأستاذ:**

1 –أحمد مهاوات واعظ نويوة

2–عبد القادر مرابط

3– مسعود قية

لجنة المناقشة:

1– معاذ عمراني	**رئيسا**
2 – واعظ نويوة	**مشرفا ومقررا**
3 – رابح رمضان	**عضوا مناقشا**

الموسم الجامعي: 1432 – 1433هـ / 2011 –2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ

ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ

وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ

ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣

سورة التوبة

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

قبل أن تعانق الفرحة عنان السماء ملوحة بفرحة النجاح، وقبل أن يحط طالب اليمنى رحال رحلته التعليمية والبد ء في مرحلة جديدة . يجب أن نشكر من له الحمد في الأولى والآخرة الله ـ عز وجل – القائل : لئن شكرتم لأزيدنكم

(إبراهيم ، الآية 07)

فيا رب اجعلنا من الشاكرين....

ثم نتوجه بالشكر العاجز صاحبه عن الكلمات إلى الأستاذ الفاضل" واعظ نويوة" على تشريفنا بقبول الإشراف على مذكرتنا وعلى ما تحلى به من صبر وأناة في توجيهنا و إرشادنا – فجزاه الله أحسن الجزاء–

كما نتقدم بالشكر الوافر إلى أساتذتنا الكرام على ما قدموه لنا من ملاحظات و إرشادات في تقويم هذا البحث من أجل أن يصل إلى أفضل صورة ,

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل و على ما أبدوه لنا من رحابة صدر كلما طرقنا بابهم,,, نخص بالذكر الزملاء في الدراسة خاصة : أسامة، راضية ، نبوية ، حنان، خولة ، هندة، صالح، عبد الرحمان، علي، ربيع ،توفيق ،عبد الوهاب ، التجاني.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل زملاءنا في قسم التاريخ، وخاصة فوج 11 ، دفعة جوان 2012 .

الإهداء

الحمد لله الذي كرم عبده واصطفاه بالعقل وجعل منه في الأرض خليفة

فبفضله وحده جعلني أتمم وأحقق هدفي وبه أهدي ثمرة جهدي

إلى من نمت .... وسهرت هي .... إلى من مرضت ... وتألمت هي

إلى من أحاول أن أرجع لها الجميل بهذا التكريم لكن هيهات ....هيهات

إلى قرّة عيني وأملي ورجائي في الحياة أدام الله عليها الصحة والعافية .. "أمي الغالية"

إلى عصب البيت وقلبه النابض الذي يكافح من أجلي ويمدني بعطائه دون مقابل ، إلى من أسعى

إلى تحقيق حلمه ومثلي الأعلى .. "أبي الغالي"

إلى نور البيت وضيائه أخوتي : عبد المالك .. عبد الكريم .. إسماعيل .. حمزة .. عماد

إلى زهور البيت وهنائه أخواتي: نعيمة .. عواطف .. الحادة

إلى من تربطني معهم صلة رحم: أعمامي وأبنائهم .. وعمتي أبنائها .. وأخوالي وأبنائهم .. وخالاتي وأبنائهم

وكل الأقارب والأحباب

إلى كل من رافقوني في المشوار الجامعي:

ناجي .. مسعود .. أسامة .. صالح .. محمود .. ربيع .. خولة .. حنان .. سعيدة .. راضية

إلى الذين جمعتنا بهم مقاعد الدراسة ، والى كل الزملاء والزميلات وكل طلبة الفوج الحادي عشر

إلى من تقاسمت معهم عناء هذا العمل: عبد القادر .. مسعود

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي

وكل ما يسعني في قوله في الأخير: الصلاة والسلام على من ترجوا العين رؤيته ، ومن أحبه قلبي لطيبته وتسعد الأذن بسماع سيرته ، وتسعى النفس أن تعيش على خطاه وكانت الروح فداه

سيدنا و حبيبنا محمد (ﷺ)

أحمد

الإهداء

الحمد لله الذي كرم عبده واصطفاه بالعقل وجعل منه في الأرض خليفة

فبفضله وحده جعلني أتمم وأحقق هدفي وبه أهدي ثمرة جهدي

إلى من غادر عالما وألتحق بالرفيق الأعلى ، والدي رحمه الله واسكنه فسيح جنانه

إلى الغالية على قلبي جدتي أطال الله عمرها

إلى الخالة العزيزة "رحيمة" وجميع الخالات

إلى الوالدة والأخوة جميعا رزقهم الله الصبر ، والثبات من عنده أن شاء الله.

إلى كل الأعمام وجميع العائلة

إلى كل الأصدقاء .. ومن يعرف عبد القادر

إلى الذين جمعتني بهم مقاعد الدراسة ، من الابتدائي إلى نهاية الطور الجامعي.

إلى من تقاسمت معهم عناء العمل ، "أحمد ومسعود"

وكل ما يسعني قوله في الأخير الصلاة والسلام على من ترجوا العين رؤيته

ومن أحبه القلب لطيبته ، وتسعد الأذن بسماع سيرته ، وتسعى النفس

أن تعيش على خطاهوكانت الروح فداه سيدنا وحبيبنا محمد (ﷺ)

عبد القادر

الإهداء

الحمد لله الذي كرم عبده واصطفاه بالعقل وجعل منه في الأرض خليفة

فبفضله وحده جعلني أتمم وأحقق هدفي وبه أهدي ثمرة جهدي

- إلى من نمت .... وسهرت هي .... إلى من مرضت ...وتألمت هي

- إلى من أحاول أن أرجع لها الجميل بهذا التكريم لكن هيهات ... هيهات

- إلى أمي الغالية (زينب) وقرّة عيني وأملي ورجائي في الحياة أدام الله عليها الصحة والعافية

- إلى عصب البيت وقلبه النابض الذي يكافح من أجلي ويمدني بعطائه دون مقابل ، إلى من أسعى

إلى تحقيق حلمه ومثلي الأعلى أبي الغالي (يحي)

- إلى أجدادي وجداتي

- إلى نور البيت وضيائه أخوتي : خليفة .. سليمان .. عمار

- إلى زهور البيت وهنائه أخواتي: رقية .. هاجر .. عائشة

- إلى من تربطني معهم صلة رحم : أعمامي وأبنائهم .. وعماتي وأبنائهم .. وأخوالي وأبنائهم .. وخالاتي

وأبنائهم .. وكل الأقارب والأحباب

- إلى كل من رافقوني في المشوار الجامعي: ناجي .. مسعود .. أسامة .. عبد الرزاق

- إلى الذين جمعتنا بهم مقاعد الدراسة ، والى كل الزملاء والزميلات وكل طلبة الفوج الحادي عشر

- إلى من تقاسمت معهم عناء هذا العمل: عبد القادر .. أحمد

- إلى رفقاء الدرب وأصدقاء العمر : السعيد .. عبد الله .. محمد .. مبارك.. ميلود

- إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي

- وكل ما يسعني في قوله في الأخير : الصلاة والسلام على من ترجوا العين رؤيته ، ومن أحبه قلبي

لطيبته ، وتسعد الأذن بسماع سيرته ، وتسعى النفس أن تعيش على خطاه وكانت الروح فداه

سيدنا وحبيبنا **محمد** (ﷺ)

مسعـــــود

قائمة المختصرات :

ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د د ن	دون دار نشر
د س ن	دون سنة نشر
د ط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات
ط	طبعة
م	ميلادي
هـــــ	هجري
P	page

المقدمة

مقـــــــدمة

شهد التاريخ الإسلامي العديد من الأحداث الكبرى، التي كان لها الأثر الكبير على كل من العالم الإسلامي والغرب الأوروبي، وتعد الحروب الصليبية من أهم تلك الأحداث، حيث استغل الأوروبيون الضعف الذي دب في جسد العالم الإسلامي آنذاك وقاموا بغزوه واحتلال العديد من المناطق من أهمها بيت المقدس .

لكن المسلمين بعد فترة من الزمن تمكنوا من استجماع قوتهم وانطلقوا في مسيرة طويلة من الجهاد لتحرير المناطق المحتلة، ويعد السلطان نور الدين زنكي من أعلام القادة المسلمين الذين حملوا لواء الجهاد في تلك الفترة ضد الصليبيين في المشرق الإسلامي، بحيث كان له يد في تحرير العديد من المناطق الإسلامية المحتلة من طرف الصليبيين.

لذلك قمنا باختيار هذه الشخصية لتكون موضوعا لدراستنا، تحت عنوان: "**دور السلطان نور الدين زنكي في الحروب الصليبية**" ، لما يكتسي هذا الموضوع من أهمية، كتسليط الضوء على شخصيته التي كان لها الأثر البارز في نجاح مشروعه في تأسيس سلطنة كان لها كلمتها المسموعة لدى المسلمين و هيبة لدى الصليبيين، كما أنه هو أول من تمكن من إقامة وحدة بين الموصل و الجزيرة وبلاد الشام ومصر, و بذلك مهد الطريق نحو طرد الصليبيين من المشرق الإسلامي ،كما تمكن هو شخصيا من تحرير العديد من المناطق و إعادتها إلى حوزة المسلمين، حيث استطاع وقف الزحف الصليبي على بلاد الشام،ومنع الصليبيين من احتلال مصر.

أما دوافع اختيارنا لهذا الموضوع فكانت متعددة, كرغبتنا في الإطلاع على جوانب هذه الشخصية ودورها الفعال في مقاومة الصليبيين ، و رغبتنا أيضا في التعرف على مشروعه, الذي كان يتمثل في إنشاء وحدة إسلامية تضم بلاد الجزيرة و الموصل والشام ومصر قادرة على الوقوف في وجه الصليبيين.

ولدراسة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية الرئيسية الآتية:

- ما هو الدور الذي لعبه نور الدين زنكي في الحروب الصليبية؟

تتفرع هذه الإشكالية الرئيسية إلى عدة تساؤلات هي:

- كيف استطاع السلطان نور الدين زنكي توحيد القوة الإسلامية بالشام؟
- كيف استطاع السلطان نور الدين زنكي التصدي للصليبيين في الشام؟
- ما هي مجريات الأحداث إلى حين بسط السلطان نور الدين زنكي نفوذه على مصر.

و لقد قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة يليها فصل تمهيدي ففصلين رئيسيين فخاتمة.

فالفصل التمهيدي كان الهدف منه دراسة الأوضاع السياسية التي كان يعيشها المشرق قبل تولي نور الدين السلطنة ، والتي كان لها دور بارز في رسم الأحداث، حيث عدنا إلى الخلافة العباسية وأسباب ضعفها ، ثم تليناها بانقسام دولة السلاجقة, تلك السلطنة القوية التي حمت المسلمين لفترات طويلة، وبعدها دراسة للحملة الصليبية الشعبية الأولى و في الأخير السلطنة الزنكية قبل تولي نور الدين الحكم.

أما الفصل الأول فكان تحت عنوان "دور السلطان نور الدين زنكي بالشام"، ويدخل ضمنه مبحثان، الأول بعنوان "توحيد القوى الإسلامية في الشام"، والثاني بعنوان "محاربة الصليبيين في الشام".

أما الفصل الثاني فيدرس حملات السلطان نور الدين لبسط نفوذه على مصر، والذي ينقسم بدوره إلى ثلاث مباحث، الأول بعنوان "حملة نور الدين الأولى على مصر" والثاني بعنوان "حملة نور الدين الثانية على مصر" و المبحث الثالث بعنوان "حملة نور الدين الثالثة على مصر، وبسط السلطان نفوذه عليها نهائيا" وفي الأخير خاتمة، والتي هي عبارة على مجموعة من الاستنتاجات التي خرجنا بها من هذه الدراسة.

ولقد اعتمدنا على المنهج الوصفي المناسب لهذا الموضوع كدراسة، حيث أن البحث عبارة على تتبع للأحداث و الوقائع خطوة بخطوة ، كما استعنا بالمنهج التحليلي لتفسير بعض القرارات المتخذة ولمعرفة أسبابها الحقيقية.

أما عن المصادر والمراجع فهي عديدة و متنوعة ، كان أهمها على الإطلاق كتاب " الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" لأبي شامة، المتوفى سنة 665هـ، وهو كتاب أختص في دراسة دولة نور الدين زنكي من قيامها إلى وفاته بالتفصيل رغم أننا لاحظنا تحيزه التام لنور الدين، و "الكامل في التاريخ لأبن الأثير المتوفي سنة 630هـ، وقد استفدنا كثيرا من كتابه لدراسته الشاملة واطلاعه الواسع على أحداث البيت الزنكي ،لكن نجده مواليا لهم ، حيث تبدو جليا محاولته لتبرير كل أفعال و تصرفات نور الدين، واعتمدنا أيضا على كتاب "تاريخ دمشق" لابن القلانسي المتوفى سنة 555هـ، والذي يعد مصدر أساسي لهذه الأحداث و المجريات، ويبين كيفية حكم نور الدين لدمشق لأنه كان موجودا بها أثناء وقوع الأحداث، غير أنه تطرق للأحداث بصفة سردية، دون تحليل أو تعليل، أما عن المصدر الرابع فكان "النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة" لأبي المحاسن المتوفى سنة874هـ وهو من المصادر المهمة لدراسة تاريخ مصر في تلك الفترة.

أما المراجع فهي كثيرة جدا، ولكن من أهمها " الأخبار السنية في تاريخ الحروب الصليبية" للمؤلف السيد علي الحريري والذي امتاز بتفصيله الكبير لمختلف الأحداث لكن ما يعاب عليه عدم وجود إحالات، إضافة إلى كتاب تاريخ الحروب الصليبية الجزء الثاني " للكاتب ستيفن رانسيمان"، فهو كتاب مهم للتطرق بصفة خاصة لما يحدث في المعسكر الصليبي مع تحيزه التام لهم، بالإضافة إلى كتاب "بناء الجبهة الإسلامية وأثرها في التصدي للصليبيين" للكاتب محمود محمد الحويري،المتميز ببساطة الطرح والتدقيق في المعلومات وتنوع مصادر معلوماته، وكتاب " في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية "، للكاتب محمد مؤنس أحمد عوض الذي أفادنا

من خلال دراسته في العلاقات الخارجية لدولة نور الدين زنكي سواء مع القوى الإسلامية أو الصليبيين أو مع الدولة الفاطمية.

و لقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء دراستنا كان من بينها صعوبة الحصول على بعض المراجع، بالإضافة إلى تضارب آراء بعض المصادر واختلافها في أسماء الشخصيات وأسماء مواقع.

و لقد حاولنا تجاوز هذه الصعوبات بإعانة من الله أولا ثم مساعدة الأستاذ المشرف الذي لا يسعنا إلا أن نتقدم إليه بالشكر الموصول على ما جاد به من نصح وتوجيهات كان لها عظيم الأثر وإخراج هذا العمل إلى النور وله جزيل الشكر والثناء ،ولكل من ساعدنا في انجاز هذا العمل.

الفصل التمهيدي:

أوضاع بلاد المشرق الإسلامي قبل تولي

نور الدين زنكي السلطنة

المبحث الأول:

ضعف الدولة العباسية

المبحث الثاني:

انقسام دولة السلاجقة

المبحث الثالث:

الحملة الصليبية الشعبية الأولى

المبحث الرابع:

الدولة الزنكية قبل تولي نور الدين السلطنة

المبحث الأول: ضعف الخلافة العباسية

امتاز العصر العباسي الأول (132هـ / 232هـ) ,(750م / 847م) بقوة خلفائه وتحكمهم في زمام الأمور, رغم بعض المحاولات للسيطرة عليهم من بعض الأطراف[1]، ومنذ سنة (232هـ / 847م)بدأ ما يسمى بالعصر العباسي الثاني الذي إمتاز بزوال السلطة من أيدي الخلفاء وانتقالها إلى غيرهم من الأطراف المتغلبة عليهم.

وإبتداءا من عهد المعتصم بدأ النفوذ التركي [2]،في دواليب الدولة يتزايد حتى أثار هذا حفيظة الخليفة ,فحاول المتوكل القضاء عليهم ،لكنه فشل وانتهى الأمر بمقتله [3]،فكان ذلك فاتحة عهد ، فقد فيه الخلفاء أي سلطة فعلية بل أصبح الأتراك يتعدون عليهم، في الكثير من الأحيان بالعزل والتقتيل، كما كان للأتراك الكلمة العليا بخصوص ولاية العهد[4]، فينصبون مواليهم ويقومون بخلع أو قتل من يشكل خطرا عليهم[5]، رغم المحاولات العديدة التي أرادت التخلص من نفوذهم إلا أنها باءت كلها بالفشل ، وبقي الأمر على ما هو عليه بل يزداد أكثر سوءا مع العصر الموالي[6].

---

[1]– مثل محاولة أبو مسلم الخرساني، الذي كان له الفضل الأكبر في قيام الدولة العباسية، لكنه أصبح يرى نفسه فوق السلطة واستأثر بالحكم في خرسان حتى اتهم بمحاولة الانفصال بها، مما جعل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يسعى للقضاء عليه، وابتدأ بغضه له منذ قتله سليمان بن كثير كبير دعاة العباسيين، والبرامكة الذين استغلوا صلتهم الوثيقة بالخليفة هارون الرشيد فتحكموا بكل مقاليد السلطة ووسعوا من ثرواتهم حتى أصبحوا أغنى من الخليفة مما دفع بهارون الرشيد للقضاء عليهم . حسن ابراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل ، بيروت، لبنان، ط14، 1996، ج2، ص ص 28– 29. محمد دياب الاتليدي : (ت 1688م)، **أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس**، دار الصادر بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص ص 244– 245.

[2]– يبدأ عصر النفوذ التركي من تولي المتوكل عام (232هـ/847م)إلى عام (334هـ /945م)،عهد الخليفة المستكفي .حسن إبراهيم حسن :نفس المرجع ،ج3،ص ص244–245

[3] - استعان المنتصر بالأتراك لقتل أبيه بسبب منحه ولاية العهد لأخيه المعتز. الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير ،(ت 310هـ / 922م): **تاريخ الرسل والملوك**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،(د ط) ,(د س ن),ج9، ص 230

[4] – أوعز الأتراك للمنتصر خلع ولاية العهد من أخويه المعتز والمؤيد خشية بأسهما. حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ج3، ص 19.

[5]- قتلوا المتوكل وابنه المنتصر ثم خلعوا المستعين بالله وقتلوه. ابن الأثير، أبو الحسن على ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: (ت 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1987، ج6، ص ص 136 185.

[6] - حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ج3، ص 18.

وحال الخلفاء العباسيين في العصر البويهي[1]، لم يكن بأحسن حال من عصر النفوذ التركي في الدولة العباسية، فقد عمل البويهيين على بسط نفوذهم على الدولة العباسية إلى أن أصبحوا مطلقي اليد في التصرف في العراق[2]، ويتضح ذلك من خلال وضع نفقة خاصة للخلفاء وتعيينهم وعزلهم[3] ، حتى أصبح الخلفاء يبايعونهم على ما وراء بابهم[4]، ولم يكفهم ذلك فكانوا يعاقبون الخلفاء الذين لا يطيعونهم بشتى الطرق، كحذف أسمائهم من الخطبة وسمل[5], أعينهم وقتلهم[6]، وفشلت كل المحاولات لاسترداد السلطة, رغم وجود بعض الخلفاء على قدر من العلم والورع، أمثال القادر[7]، واستمر الأمر كذلك إلى أن دخل طغرلبك السلجوقي بغداد وفرض سيطرته عليها، وقضى على البويهيين سنة(450هـ / 1058م) [8].

وتذكر المصادر التاريخية أن معاملة السلاجقة[9], كانت إجمالا حسنة مع الخلفاء رغم سيطرتهم المطلقة على الحكم[1].

---

[1]- برز بنو بويه بعدما تمكن أبناء أبي شجاع بويه من تأسيس إمارة لهم في بلاد فارس ثم أرسلوا بعد ذلك يطلبون اعتراف الخليفة العباسي الراضي بحكمهم على بلاد فارس، فكان لهم ما أرادوا، ثم استنجد بهم الخليفة العباسي المتقي ضد الأتراك ودخلوا بغداد سنة (334هـ / 946م)إلى سنة (447هـ/1055م). وفاء محمد علي: **الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر(د ط)،(د س ن), ص ص 16- 17.

[2]- نفس المرجع، ص 43.

[3]- مسكويه: أبو العلي أحمد بن محمد، (ت 421هـ)، **تجارب الأمم**، هـ ن أمروز، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر،(د ط),(د س ن), ج2، ص ص 86 87.

[4]- حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج3، ص 67.

[5]- سمل العين: فقؤها، ويقال سملت عينه، تسمل إذا فقئت بحديدة محماة. ابن المنظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المنظور الأفريقي المصري: **لسان العرب**، دار المصادر ، بيروت ، لبنان، (د ط),(د س ن)ج11، ص 347.

[6]- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان (ت 911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، دار أبي حزم، لبنان، ط1، 2003، ص 301.

[7]- الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي، (ت 463هـ) ، **تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د ط),(د س ن), ج4، ص ص 37 38.

[8]- حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ج6، ص 70.

[9]- ينسب السلاجقة لعشائر الغز الكبيرة المقيمة في تركستان ،وإثر سوء الأحوال الاقتصادية نزحوا واستقروا بخرسان حيث تمكنوا بقيادة طغرلبك من إعلان قيام دولتهم عام (429هـ/1037)، ثم بسطوا نفوذهم على العديد من المناطق

وميز عصر ألب أرسلان (455هـ/ 1063م)، خليفة طغرلبك تطورا كبيرا للدولة، وحقق عدة انتصارات على الفاطميين والبيزنطيين[2]، لكن بعد وفاة ملك شاه دخل السلاجقة في العديد من الاضطرابات والانقسامات داخل البيت السلجوقي، مع بقاء حسن العلاقة مع العباسيين، واستمر الأمر على هذا النحو إلى نهاية الدولة السلجوقية سنة (522هـ / 1128م)[3] .

الصراع السني الشيعي:

بعد الفتنة التي شهدها العالم الإسلامي على الخلافة في عهد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ظهرت عدة أفكار وطوائف متصارعة فيما بينها من أشهرها السنة والشيعة[4]، وظل الأمر سجالا بين الطائفتين, إلى أن تمكن الشيعة الإسماعيلية في تأسيس خلافة لهم في بلاد المغرب, ثم انتقلت إلى مصر سنة (360هـ/ 971م)[5]، وتمكن الشيعة من التغلغل في دواليب السلطة العباسية من خلال مواليهم البويهيين[6]، الذين كانوا شيعة على المذهب الزيدي[7]، ويذكر بعض المؤرخين أن معز الدولة البويهي فكر في مبايعة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بدلا من الخليفة العباسي إلا أن أحد أتباعه، نصحه بعدم القيام بذلك خوفا على

،كما استغلوا الصراع الداخلي في الدولة العباسية وسيطروا على بغداد .محمد الخضري :**الدولة العباسية** ،دار المعرفة, بيروت ،لبنان ،ط7،2005،ص ص 350.351

[1]– فقد صاهر طغرلبك الخليفة القائم العباسي بالقوة، كما وضع للخلفاء العباسيين أقطاعات خاصة يعيشون منها، ولم يبقى لهم من الحكم سوى ذكر أسمائهم في الخطب ونقشها على السكة. حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع ، ج4، ص ص، 23 24.

[2]– نفس المرجع ، ج4، ص 65.

[3]– ابن الأثير ، المصدر السابق، ج11، ص 90.

[4]– **الشيعة:** هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصيا إما جليا أو خفيا، ويعتقدون أن الإمامة في أولاده فقط، ومن أهم فرقهم الشيعة الإسماعيلية، وهم الذين يقولون أن الإمامة في أولاد إسماعيل بن جعفر رغم موته قبل أبيه فقد قالوا أنه لم يمت بل أظهر موته تقية. الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، (ت 548هـ)، **الملل والنحل**، تح أحمد فهمي محمد، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1992، ج1، ص ص 44– 17.

[5]– ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح، ح س كولان وليفي بروفنسان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ج1، ص ص 151 –231.

[6]– أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،(د ط),(د س ن), ص 348.

[7]– **الزيدية:** هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة بنت النبي "ص"، ولم يجوزوا ثبوتها من غير نسلها، وجوزوا أن تكون الإمامة في كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي ومن الواجب طاعته سواء من أولاد الحسن أو الحسين .الشهرستاني: نفس المصدر ، ج1، ص ص 153 –154.

سلطانه[1]، واستمرت العلاقة بين الدولة العباسية السنية طوال عصر بني بويه حسنة مع الدولة الفاطمية الشيعية[2]، خصوصا على عهد أبي كاليجار (435هـ – 440هـ)/ (1043م– 1048م) الذي اتخذ من التقرب إلى الفاطميين ودعاتهم وسيلة لإرهاب العباسيين، كما حال دون تقرب العباسيين من السلاجقة الذين تمكنوا من القضاء على السلطة البويهية فيما بعد[3]، غير أن سياسة القائم بالله الخليفة العباسي لم تعجب الفاطميين[4].

واستغلوا الصراع الذي نشب بين الخليفة العباسي ووزيره من جهة وقائد الجند و أبو الحرث البساسيري من جهة أخرى وعمل الفاطميون على تأييد البساسيري لكونه أسماعيليا مثلهم, مما حذا بالخليفة ووزيره إلى الاستنجاد بطغرلبك صاحب الدولة السلجوقية، فقدم طغرلبك على حين غرة إلى بغداد ،ما أدى بالبساسيري إلى الفرار إلى مدينة الرحبة[5], شمال نهر الفرات ،غير أن أخا طغرلبك إبراهيم ينال أعلن تمرده في همذان مما اضطر طغرلبك إلى ترك بغداد والعودة بجيوشه لقمع ثورة أخيه ،وهنا أستغل البساسيري خلو الأجواء وسار إلى بغداد وقبض على الوزير بن المسلمة وقتله ،وكان ينوي قتل الخليفة لولا أن حليفا للبساسيري المسمى قريش بن مهران أجاره ،واكتفى بإلزام الخليفة العباسي على كتابة تعهد بأنه لا حق لبني العباس بالخلافة، ورفع الألوية الفاطمية في بغداد، وخطب للخليفة المستنصر على المنابر، كما أرسل له عمامة الخليفة العباسي وعرشه[6].

---

[1]– حيث برر له ذلك أن أصحابه ذو ولاء للشيعة ،ويكرهون أهل السنة وهو شيعي والحاكم الحقيقي للدولة ،وبالتالي سيكونون طوع أمره ،أما إذا نقل البيعة للفاطميين سينتقل ولاء أصحابه للخليفة الفاطمي ،حتى أذا أمرهم بقتل معز الدولة نفذوا ذلك دون تردد لأنهم يعتبرونه خليفة شرعيا عليهم.أبن الأثير :نفس المصدر ،ج7،ص 308.

[2]– أحمد مختار العبادي: نفس المرجع، ص ص 348 –349.

[3]– حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج6، ص 17.

[4]– **البساسيري:** أصله مملوك تركي للسلطان البويهي بهاء الدولة، حيث أخذ يتنقل في وظائف الدولة إلى أن عينه الخليفة القائم قائدا لحرسه. أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص 353.

[5]– **الرحبة** : هي مدينة تقع بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات .ياقوت الحموي :شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ،لبنان ، (د ط),1977،ج3، ص34.

[6]– أبو المحاسن: جمال الدين أبو يوسف أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، (ت874هـ) :**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ،تح محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1992،ج5،ص 13.

غير أن ثورة البساسيري لم تدم طويلا لأن السلطان طغرلبك عاد إلى بغداد وأعاد الخليفة القائم إلى عرشه، وتمكن من هزيمة البساسيري وقتله، وبذلك عادت الخلافة السنية لبغداد, وبعد وفاة طغرلبك سار خليفته ألب أرسلان على نهجه في محاربة التشيع في بلاد الشام، وتمكن من السيطرة على حالها سنة (463هـ / 1070م)، وقد ظل العداء مستحكما بين السلاجقة والفاطميين خاصة بعد سيطرة السلاجقة على الشام ومحاولة مد نفوذهم إلى مصر[1].

المبحث الثاني: انقسام دولة السلاجقة

بوفاة السلطان السلجوقي ملكشاه (485هـ / 1092م) تفككت دولة السلاجقة، فقد خلفه في الحكم أبنه محمود ، ولكنه كان طفلا صغيرا تحت وصاية والدته "تركان خاتون" ولقبه الخليفة العباسي بناصر الدنيا والدين[2]، فخرج عليه أخوه الأكبر "بركياروق" فأعترف به الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله ولقبه ركن

[1]– أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 356.

[2]– حامد زيان غانم زيان: **الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،(د ط) ,1983، ص 10.

الدين[1]، وفي نفس الحين طالب تاج الدولة "تتش", أخو ملكشاه هو الآخر بالسلطنة، مما أدى إلى صراع طويل في أركان البيت السلجوقي[2].

استعان "تتش" بحكام الشام، وعلى رأسهم أقسنقر حاكم حلب، وبوزان صاحب "حران"[3]،"والرها"[4]، وكذلك ياغي سيان صاحب أنطاكية[5] ضد "بركياروق"[6] وكون جيشا زحف به إلى أذربيجان عام (486هـ / 1093م) لمنازلة ابن أخيه بركياروق، غير أن حلفاء تتش أقسنقر وبوزان انفصلوا عنه وانضموا إلى جيوش "بركياروق" مما أدى إلى انسحاب "تتش"[7] لترتيب صفوفه والانتقام ممن خانوه فقضى على قسيم الدولة أقسنقر عام (487هـ /1094م) في موقعة "تل السلطان"[8]، واستطاع تتش دخول حلب، غير أن بركياروق استطاع إعادة تنظيم صفوفه وخرج على رأس جيش لمحاربة عمه تتش واستطاع إلحاق الهزيمة به في موقعة "الري" سنة (488هـ /1095م)[9].

وبوفاة تتش لم تتوقف الصراعات والتنافس على الحكم بين أمراء البيت السلجوقي، فقفز كل من ابنه دقاق وحكم دمشق، أما ابنه الثاني رضوان فسيطر على حلب ودخلا في صراع بينهم لتوسيع نفوذهما على بلاد الشام[10], فقاموا بعقد عدة تحالفات منها تحالف رضوان مع الباطنية[11]، وأظهر مذهبهم في حلب

---

[1]– جلال الدين السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، المصدر السابق ,ص 353.

[2]– ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت 747هـ)، **البداية والنهاية**، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر ط1، 1998، ج12، ص 144.

[3]– **حران:** هي مدينة مشهورة بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 235.

[4]– **الرها:** هي مدينة بالجزيرة تقع بين الموصل والشام .نفس المصدر ، ج3، ص 106.

[5]– **أنطاكية:** هي مدينة من بلاد الشام، أسسها الروم ، ذات تحصينات منيعة، بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة, نفس المصدر ، ج1، ص ص 266– 267.

[6]– حامد زيان غانم زيان: نفس المرجع، ص 11.

[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 89.

[8]– **تل السلطان:** هو موضع بين حلب ودمشق يحتوي على منازل وفنادق لاستراحة القوافل. ياقوت الحموي : نفس المصدر ، ج2، ص 42.

[9]- حامد زيان غانم زيان: نفس المرجع، ص 12.

[10]– محمد سهيل طقوش: **تاريخ السلاجقة في بلاد الشام**، دار النفائس،بيروت، لبنان،ط3,(د س ن) ص 70.

[11]– **الباطنيين:**ولقبوا بهذا لقولهم إن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، ولهم عدة ألقاب أخرى، فأهل العراق يسمونهم الباطنية أو القرامطة أو المزدكية، أما في بلاد خرسان فيطلقون عليهم لقب التعليمية والملحدة، وهم يقولون نحن شيعة إسماعيلية لكن تميزنا على باقي فرق الشيعة بهذا الاسم، لقد نشأ مذهبهم في منتصف القرن الثالث هجري، وكانوا

وصار لهم الجاه العظيم، وأسسوا دارا لدعوتهم بحلب في أيامه بعد أن كانت مقر دعوتهم قلعة ألموت[1] ، التي أسسها الحسن ابن الصباح عام (483هـ / 1090م)[2] فأستخدمهم رضوان في تحقيق مآربه, حيث قاموا بسلسلة من الاغتيالات لمعارضيهم فقتلوا فضل الله الزوزوني الحجمي الحنفي قاضي حلب، وكذلك جناح الدولة حسين أمير حمص عام (496هـ / 1103م), وعملوا على توسيع نشاطهم خارج إمارة حلب، وتمكنوا من السيطرة على عدة قلاع ومناطق، فنجد أن اعتماد رضوان على الحشاشين كان كليا حتى وفاته سنة (507هـ / 1113م)[3].

أما في العراق فبعد وفاة بركياروق نشب صراع بين أولاده على الحكم، فقد خلفه السلطان محمود بن محمد ملكشاه (510- 525هـ) /(1117-1131م) ولكن خرج عليه أخوه طغرل، وقامت حروب كثيرة بينه وبين عمه سنجر صاحب خرسان (513هـ /1119م)، كما خرج عليه أخوه مسعود صاحب الموصل وأذربيجان[4]، كما تجدر الإشارة إلى أن هناك نشاط للباطنية في العراق الذين قاموا باغتيال الوزير نظام الملك[5]من قبل[1]، وهكذا امتلأ تاريخ

يعتمدون على آراء الفلاسفة والملاحدة، وعرف الناس أنهم براءة من الشيعة فظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر والمحض وينسبونهم إلى الشيعة الإسماعيلية، وكان الباطنية يستعملون الحشيشة إما لصنع الدواء أو الحشيش المخدر لكي يصبح كل فرد منهم كالآلة في يد الشيخ قبل أن يوجهه لتنفيذ مهمة ما. الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص ص 201- 202.

/ محمد سهيل طقوش:نفس المرجع ، ص 171.

[1]- **قلعة ألموت:** هي قلعة حصينة بين قزوين وبحر الخزر، تقع على قمة جبل عالي، بنيت سنة 446هـ . ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص 728.

[2]- نفس المصدر، ج6، ص 176.

[3]- محمد سهيل طقوش:نفس المرجع ، ص 176.

[4]- الأصفهاني: عماد الدين محمد بن حامد، (ت 1301م)،: **تاريخ دولة آل سلجوق**، مطبعة الموسوعات، مصر، (د ط)1900، ص ص 108 -109.

[5]- **نظام الملك:**هو الوزير الكبير ،نظام الملك قوام ،أبو علي الحسن بن علي أبن إسحاق الطوسي،عرف برجاحة عقله وحسن تدينه , وكانت فترة وزارته من أزهى فترات السلاجقة.الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)**:سير أعلام النبلاء**،تح،شعيب الارنؤوط ،مؤسسة الرسالة، بيروت ،لبنان،1984(د ط)،ج19،ص ص 94-95.

الدولة السلجوقية في تلك الفترة خصوصا بالاضطرابات وعدم الاستقرار[2] ، ونتج عن هذا الصراع تدهور ملحوظ في قوة السلاجقة وانقسامها إلى عدة أقسام، وهي سلاجقة فارس، وسلاجقة العراق، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وسلاجقة الشام كما انقسمت هذه الدول بدورها إلى دويلات صغيرة[3].

المبحث الثالث: الحملة الصليبية (الشعبية والأولى)

يعد الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ذو جذور تاريخية قديمة وحلقات وأطوار متعددة من بينها الحروب الصليبية، التي تعددت أسبابها وبواعثها فنجد على رأسها الأسباب الدينية المتمثلة في محاولة السيطرة على الأراضي المقدسة في الشام مهبط الكتب السماوية ومستقر الرسل، وأسباب أخرى اقتصادية متمثلة في طمع الأوروبيين في خيرات بلاد الشام، وذلك نتيجة للأزمة الاقتصادية التي كانت تعيشها أوروبا في تلك الفترة، أما الدافع السياسي لهذه الحروب هو رغبة ملوك أوروبا في تكوين إمارات صليبية لهم في بلاد الشام[4].

---

[1]– ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، لبنان،(د ط),(د س ن), ج1، ص 318.

[2]– حامد زيان غانم زيان: المرجع السابق، ص ص 12 –13.

[3]– المرجع السابق ، ص ص ، 12 –13.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور: **الحركة الصليبية**، مكتبة أنجلو المصرية، ط6 ، 1996، ج6,القاهرة، مصر، ص

ويرى أغلب المؤرخين أن السبب المباشر لهذه الحروب هو موقعة ملاذ كرد (463هـ / 1071م)[1]، التي أسفرت على هزيمة الإمبراطور البيزنطي "رومانوس الرابع إدجينوس" على يد السلطان السلجوقي ألب أرسلان ووقوعه في الأسر وإجباره على دفع الجزية للسلاجقة[2]، فاستغل السلاجقة هذا النصر وعملوا على التوسع في آسيا الصغرى على حساب الدولة البيزنطية، فكونوا دولة لهم عرفت باسم سلاجقة الروم سنة (470- 696هـ) /(1077- 1296م)[3].

هناك أحس الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومينين بخطر تنامي نفوذ السلاجقة، فبعث برسالة استغاثة إلى البابا "أوربان الثاني"،داعيا إياه إلى تناسي الخلافات المذهبية والتوحد ضد الخطر الاسلامي ،فأثار حماس البابا، وأعتبرها فرصة لتوحيد الكنيستين تحت زعامته، واستغل هذه الفرصة وبعث بنداء تاريخي إلى كل المسيحيين الغربيين في أوروبا لنجدة الكنيسة الشرقية, ودعا إلى الاستعداد إلى حرب مقدسة ضد المسلمين، ولقيت هذه الدعوة رواجا كبيرا بين الناس عامة والأمراء,غير أن الكثير من الفقراء لم يصبروا حتى يتم الاستعداد للحملة ،بل ساروا في جموع لا تحصى بقيادة أحد الرهبان يقال له "بطرس الناسك"وفارس مغامر يسمى "ولتر المفلس " الذي تمكن من جمع عدد كبير من الأشخاص هو كذلك[4].

وتدفقت الجموع وسارت عبر بلغاريا, فدخلوا في السلب والنهب وصراع مع أهلها، فصاروا كلما دخلوا مدينة نهبوها لقلة ما معهم من المؤن، وأصبحوا كلما اقتربوا من مدينة خرج لهم أهلها ليمنعوهم من دخول مدينتهم ، إلى أن وصلوا إلى القسطنطينية[5].

---

[1]- أنظر الملحق رقم01

[2]- محمد عبد العظيم أبو النصر: **السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2001، ص ص 86- 67.

[3]- نفس المرجع، ص 87.

[4]- سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ص 108- 109.

[5]- أنظر الملحق رقم02

كما سار جيش آخر من بلاد النمسا بقيادة "غوشالك الكاهن" وجيش آخر من بلاد ريزو موسيل تحت رئاسة "الكونت أميلوك" واجتمعت الجيوش الأربعة في القسطنطينية، وعمل الإمبراطور "ألكسوس كومنيوس"على نقلهم إلى وراء البوسفور، وهناك تفرقت كلمتهم واختلفوا في أمرهم، فلذلك تركهم بطرس الناسك ورجع إلى القسطنطينية[1], فانتهز الصليبيون هذه الفرصة، وقرروا الزحف على نيقية، فوقعوا في كمين أعده لهم السلاجقة بقيادة قليج أرسلان بن سليمان بن قطملس، صاحب قونية، وقضوا على الحملة الصليبية الشعبية، حيث قتل والتر المفلس، وهكذا انتهت مسيرة الفقراء فوق تراب آسيا الصغرى[2].

الحملة الصليبية الأولى:

لقد لاقت دعوات البابا استجابة من طرف ملوك أوربا ، الذين قاموا بتنظيم أنفسهم ثم خرجوا بحملة رسمية، من غرب أوربا في(منتصف رمضان 489هـ / أوت 1096م)، وكان خروجهم بعد فشل الحملة الشعبية التي لم تطق الانتظار حتى خروج حملة الملوك، وكانت هذه الحملة الرسمية بقيادة أمراء بدؤوا زحفهم من جيش يتكون من أربعة فيالق[3]، يقدرها بعض المؤرخين بنحو 150 ألف جندي[4], بقيادة الأمراء جود فري البيوني، ودوق اللورين الأدنى، بوهيموند التارانتوي، وكذلك ريموند السانت جيلي كونت تولوز، وقاد الحملة أدهيمار

[1]– السيد علي الحريري: **الأخبار السنية في الحروب الصليبية**، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة,مصر, ط3، 1985، ص28 .

[2]– قاسم عبده بلقاسم: **ماهية الحروب الصليبية**، سلسلة عالم المعرفة،(د ط)1990، ص 98.

[3]– أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، مصر،ط5 ، 1990، ص 592.

[4]– أرنست باركر: **الحروب الصليبية**، **تر**، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2،(د س ن) ص 27.

روبرت ممثل الكنيسة[1]، وروبرت أوف فلاندر، أمير نورمانديا، وكان الفيلق الذي يقوده جود فري أسبق الفيالق للوصول إلى القسطنطينية.

لكن الإمبراطور البيزنطي أشترط على قادة الجيوش القسم بالولاء له ،مما أوقع مشكلة بينه وبينهم ,فجود فري تردد في اعلان الولاء للإمبراطور القسطنطيني لأنه تابع للإمبراطورية الغربية، أما الفيلق الثاني الذي كان بقيادة بوهيموند التارانتوي فسارع إلى إعلان الولاء للإمبراطور وأعلن تبعيته له، ثم جاء بعده الفيلق الثالث قادما من إقليم بروفانس بقيادة ريموند الذي تردد هو أيضا في اعلان الولاء، ولكن أعلن ولاءه للمسيح فقط وأقسم ريموند باحترام حياة الإمبراطور البيزنطي وشرفه[2]،أما الفيلق الرابع بقيادة روبرت فقد أدى يمين الولاء والتبعية للإمبراطور ألكسيوس كومينين[3]، ويذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور البيزنطي كان ينظر إلى جميع الصليبيين نظرة شك وريبة[4].

وبدأ الزحف المسيحي نحو بلاد الاسلام في أواخر أفريل عام (490هـ /1097م)[5]، عبر الصليبيون البوسفور ونزلوا آسيا الصغرى وهناك انضم إليهم بطرس الناسك وشرذمة من الناجين من الحملة الشعبية، وفي21جماد الأول 6 ماي من نفس السنة وصلت الحملة إلى مدينة نيقية عاصمة الدولة السلجوقية وفرضوا عليها حصارا إلى أن استسلمت فقاموا باقتحامها وأخذوا في سلبها ونهبها، ثم توجه كل فيلق في اتجاه، فتوجه بوهيموند إلى أنطاكيا وسيطر عليها وأسس فيها أول امارة صليبية في سنة (491هـ / 1098م)[6]، واتجه بولدوين شقيق جود فري بجزء من الجيش إلى الرها، وأسس فيها هناك امارة سنة (

---

[1]– جوناثان ريلي سميث: **الحملة الصليبية وفكرة الحروب الصليبية**،تر،محمد فتحي الشاعر ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،ط2، 1990،ص109.

[2] –أحمد شلبي: نفس المرجع ، ج5، ص ص 592 –593.

[3]– أحمد الشامي: **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى** ،دار النهضة العربية ،القاهرة ،مصر، ط1، 1985،ص67.

[4] - أنظر الملحق رقم03, 04.

[5]– تيسير بن موسى: **نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين**، الدار العربية للكتاب ، القاهرة، (د ط),(د س ن) مصر، ص 69.

[6]– مصطفى وهبة: **موجز تاريخ الحروب الصليبية**، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997، ص ص 24 – 25.

492هـ / 1099م)[1]، أما البقية فقد تقدمت بقيادة جود فري، ووصل مدينة القدس في جوان (492هـ / 1099م)، وفرض عليها حصارا إلى أن أجبر سكانها على الاستسلام في 25جويلية[2] من نفس السنة[3]، وبعد دخولهم المدينة ارتكبوا مجزرة عظيمة أودت بحياة عشرات آلاف السكان، ونصب جود فري ملكا على القدس[4]، كما تمكن الصليبيون بقيادة ريموند من فتح طرابلس بعد محاولات دامت تسعة سنوات لتكون أمارة لخليفته برتراند سنة (512هـ / 1109م)، وقد أسفرت هذه الحملة على نجاح كبير الصليبيين في غزوهم البلاد الاسلامية وتأسيس ثلاث إمارات ومملكة بها، لكن ما لبثت هذه الإمارات أن توسعت لتحتل العديد من إمارات وحصون إسلامية أخرى في بلاد الشام[5].

[1]- محمد العروسي المطوي:**الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، 1982، ص 57.

[2]– ويذكر وليم الصوري أن المدينة استسلمت في 15جويلية 1099.أنظر وليم الصوري :**الحروب الصليبية** ،تر،حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،(د ط)،,1991ص137.

[3]- j. collin D E plancy**: ligendes des croisades, Depuis les premiers temps jusqu' a' nos jours**, Appouve' par S.G.M g r l'Évêque d'arras, de Boulange et Saint-Omer, p10.

[4]– فوشيه الشارتري: **تاريخ الحملة إلى القدس**، تر: زياد جميل العسلي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1, 1990، ص ص 76 –77.

[5]– أحمد شلبي: المرجع السابق، ج5، ص 597.

المبحث الرابع: الدولة الزنكية قبل تولي نور الدين الزنكي السلطة

كان الجيش السلجوقي يقوده مجموعة من المماليك الذين كانوا يشترون أو يأسرون في الحروب، ويربون تربية عسكرية إسلامية، ويتدرجون من مختلف مراتب الجيش، ومع تفكك دولة السلاجقة انتقل النفوذ والسلطان إلى هؤلاء المماليك الذين خاضوا المعارك باسم السلاطين، وأصبحوا أوصياء على أبناء هؤلاء السلاطين، ويطلق عليم[1] اسم " الأتابكة"[2]،وسرعانما أسسوا دولا لهم تعرف بالأتابكيات منها: أتابكية دمشق و الموصل، وسوريا، فارس، أذربيجان[3]، وأصبح الأتابكة يتوارثون الحكم داخل أسرهم.

من بينهم بيت آل زنكي الذين ينتسبون إلى قسيم الدولة أقسنقر الذي كان من مماليك ملكشاه، وتربى معه منذ الصغر، فلما تولى ملكشاه السلطة اتخذ اقسنقر من قواده وأمرائه، وولي مدينة حلب واستمر واليا عليها إلى أن جرى بينه وبين تاج الدولة بن ألب أرسلان معارك انتهت بمقتله سنة (487هـ /

---

[1]– حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج4، ص 61.

[2]– **الأتابكة:** ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر، وأصله أطابك، ومعناه الولد الأمير، وأول من لقب بذلك، نظام الدولة وزير ملكشاه، وقيل أطابك ومعناه أمير أي أبو الأمراء وليس له الحق في الأمر والنهي، الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الانشا**, دار الكتب الخديوية، القاهرة، مصر، (د ط),1914،ج4، ص 18.

[3]– حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ج4، ص 62.

1094م)، ولم يترك أقسنقر إلا ولدا صغيرا له عشرة سنوات هو عماد الدين زنكي[1]، وتولى مماليك والده تربيته، ثم تول تربيته قوام الدين أبو سعيد كربوقا[2].إلى أن توفي سنة (494هـ / 1101م)، فخلفه موسى التركماني، ويليه شمس الدولة "حكرمش" الذي أخذ عماد الدين فقربه وأحبه واتخذه ولدا لمعرفته بمكانة والده إلى أن قتل سنة (500هـ / 1107م)[3].

لقد شارك عماد الدين الزنكي في بعض المعارك والمناوشات التي كانت تثار ضد الامارات الصليبية، فكانت تبدوا منه البراعة والشجاعة، وهذا ما جلب انتباه السلاجقة والخليفة العباسي فأقطعه سنة (516هـ / 1113م) مدينة واسط وشحنكية[4] البصرى، وفي سنة (519هـ / 1116م) أعطيت له شحنكية بغداد والعراق، وفي سنة (521هـ / 1118م) نال الولاية على الموصل، وهنا فسح له المجال ليظهر نبوغه ويقوم بنهضته الإصلاحية، وكان لا طمع له إلا في تكوين مملكة إسلامية إسلامية موحدة تقدر على مجابهة الصليبيين[5].

وما لبث عماد الدين أن وسع مملكته فضم إليه سنجار، والخابور[6]، وبقيت الرها ومدن أخرى في أيدي الصليبيين[7],كما حاول مد سلطانه خارج المناطق الغربية من الموصل، فعقد معاهدة مع الأمير الصليبي لمنطقة الرها ليأمن طريقه من الشمال واتجه إلى مدينة حلب بجيشه فوصلها في محرم (521هـ / جويلية 1123م) واستطاع بسهولة الاستيلاء على المدينة وقلعتها، ونتيجة لهذا كله تمكن من عزل إمارة الرها عن باقي الإمارات الصليبية الأخرى في الغرب

---

[1]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 66.

[2]– أبو شامة, شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي ، (ت، 665هـ): **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2002،4،ج1، ص 146.

[3]– سهيل زكار: **الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية** ،(د د ن)دمشق،سوريا،(د ط),1990،ج17،ص73.

[4]– **الشحنكية:** لفظ تركي فارسي معناه رئيس الشرطة أو العسس. مصطفى عبد الكريم الخطيب :**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان،ط1، 1996، ص270.

[5]– محمد العروسي المطوي, المرجع السابق، ص ص 66 –67.

[6]– **الخابور:** هو اسم لنهر كبير قرب الفرات غلب اسمه على المناطق المحيطة به وتعد هذه المنطقة تابعة للموصل شرق دجلة، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص ص 334– 335.

[7]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 57.

والجنوب[1]، كما استولى على مدينة حماه وضمها إليه، إلا أنه دخل في صراع مع الخليفة العباسي المسترشد بالله الذي حاول ضم الموصل لكنه فشل.

وبعد أن هدأت الأمور بالموصل عاد عماد الدين إلى نشاطه العسكري ضد الصليبيين، وضم العديد من القلاع منها، وحاول فتح دمشق ولكنه لم يفلح، وتزامن ذلك مع وفاة بعض الحكام الصليبيين الأوائل وهم بلدوين حاكم بيت المقدس، وجوسلين الأول حاكم الرها، وبوهيموند أمير أنطاكيا[2].

وبعد استكمال عماد الدين توحيد المناطق والقوى وجه ضربة حاسمة للصليبيين بفتحه مدينة الرها وانتصاره على أميرها جوسلين الثاني (539هـ / 1144م)[3]، فأزال بذلك أول امارة صليبية من حيث تكوينها، واستمر عماد الدين في أعماله الجهادية والإصلاحية[4]، إلى أن اغتاله ثلاثة من غلمانه[5]، أثناء حصاره قلعة جعبر[6] سنة (541هـ / 1146م).

وأقتسم ولديه سيف الدين غازي، ونور الدين محمود، المملكة بينهما، وكان القسم الشرقي لسيف الدين غازي وعاصمته الموصل والغربي لنور الدين محمود وعاصمته حلب[7]، لذلك كان نور الدين هو الأقرب للصليبيين فحمل لواء الجهاد ضدهم

نور الدين هو الابن الثاني لعماد الدين الزنكي ولد (511هـ / 1117م) تربى تحت رعاية والده ولازمه حتى مقتله[8] .

---

[1]– تيسير بن موسى: المرجع السابق: ص ص 113– 114.

[2]– نفس المرجع ، ص 114.

[3]- أنظر الملحق رقم05.

[4]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 67.

[5]– أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي، (ت 597هـ): **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح، محمد عبد القادر عطاء، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1، 1992، ج18،ص 151.

[6]– **قلعة جعبر:** هي قلعة ع الضفة المطلة على نهر الفرات من الجانب الشرقي، وهي من أمنع القلاع، ابن الأثير : المصدر السابق، ج10، ص 11.

[7] Rene crousset: l e popee des croisades librairie acadenique Rerrin, paris, 1995, p126.

[8]– الذهبي: سير اعلام النبلاء،ج20، ص 531.

الفصل الأول:

دور السلطان نور الدين زنكي في الشام

المبحث الأول :

توحيد القوى الإسلامية بالشام

المبحث الثاني :

الصراع مع الصليبيين في الشام

المبحث الأول: توحيد القوى الإسلامية بالشام

إن الفضل الأكبر لنجاح أي دولة يعود بعد الله تعالى, إلى شخصية قائدها، ولعل نور الدين زنكي ثاني حكام الدولة الزنكية من أوضح الأمثلة على ذلك، حيث كان لشخصيته الأثر الكبير في قوة هذه الدولة، ونجد من أهم صفات شخصية نور الدين هي العدل حتى شبه في ذلك بالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[1]، وهذا ما أكسبه محبة العامة وسهولة في تسيير شؤون دولته، بالإضافة إلى زهده وعبادته وعلمه الغزير[2]، كما أمتاز بالذكاء والجدية، مما جعله لا يكل ولا يمل طوال حياته من الجهاد ومقارعة الأعداء، ويعود ذلك لشجاعته وحسن رأيه، فإنه أصبر الناس وأحسنهم مكيدة ورأيا، وكان يضرب به المثل في ذلك، بالإضافة إلى محبته للجهاد والشهادة، ويروى أنه قال " طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها"[3]، كل هذه الصفات ساعدت في بناء وقوة شخصيته, مما أدى إلى نجاح مشروعه في بناء الدولة القوية التي وقفت الند للند في وجه الصليبيين.

ففي البداية عمل على توحيد الجبهة الإسلامية مستخدما مختلف الطرق والأساليب، فمنذ الوهلة الأولى لتوليته بعد مقتل أبيه، أخذ الخاتم من يده وسار إلى حلب وملكها[4]وكان ذلك بإشارة من أسد الدين شريكوه, في حين سار ألب أبن السلطان محمود إلى الموصل مع جماعة من أكابر دولة أبيه في محاولة منه لتولي الحكم ,فقال نور الدين "إن وصل إليها أخي سيـــف الدين غازي أولا فهي له وأنتم في خـــدمته، وإن تأخر فأنا أقرر أمور الشام وأتوجه إليكم "[5]، وكان سيف الدين غازي مقيما بشهروز[6]، فلما سمع بمسير ألب أرسلان إلى الموصل سارع إليها ودخلها قبله وتولى الحكم فيها [7], أما أخوهما نصرة الدين فقد حكم حران تابعا لنور الدين محمود في حين بقي قطب الدين تحت رعاية أخيه سيف الـــــدين[8]، ولذلك انقسمت دولـــــــة عماد الدين زنكي إلى قسمين يفصل بينهما نهـــــر

---

[1] - أبو شامة : المصدر السابق، ج1، ص 97.
[2] - نفس المصدر، ج1، ص98.
[3] - نفس المصدر،ج1، ص 103.
[4] - السيد علي الحريري:المرجع السابق، ص 91.
[5] - أبو شامة: نفس المصدر ، ج1، ص 191.
[6] - **شهروز**: هي منطقة تقع وسط الجبال بين الأربل وهمذان، وسكانها من الأكراد. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 375.
[7] - تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 131.
[8] - محمود محمد الحويري: **بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1992 ، ص 94.

الخابور[1]، القسم الأول عاصمته الموصل بقيادة أبنه الأكبر، سيف الدين غازي، والقسم الثاني بقيادة نور الدين وعاصمته حلب[2].

وبطبيعة الحال كان هذا سينشأ تنافس بين الأخوين, فسيف الدين يعتبر هو الابن الأكبر والوريث الشرعي لملك أبيه، وأن استيلاء نور الدين على حلب يعتبر عصيانا عليه، غير أن سيف الدين قرر أخذ أخيه بالسلم فراسل ليطلب لقاء أخيه، لكن نور الدين خاف على نفسه واعتذر عن الحضور متذرعا بتحركات الإفرنج [3]، واستمر سيف الدين يراسل أخاه ويستميله إلى أن استقر الحال على أن يجتمعا ومع كل واحد منهما خمسمائة فارس، غير أن سيف الدين خرج ومعه خمسة من الفرسان فقط ,وعند لقائهما اعتنقا وبكيا [4]، فقال سيف الدين لأخيه " امتنعت من المجيء إلي، أكنت تخافني على نفسك؟ والله ما خطر ببالي ما تذكره، فلمن أريد البلاد ومع من أعيش، وبمن اعتضد إذا فعلت السوء مع أخي وأحب الناس إلي؟"، فاطمأن نور الدين وسكن روعه، وعاد إلى حلب[5]، وهذا ما يبرز حسن العلاقة داخل البيت الزنكي ونجاح مشروعهم في تأسيس الدولة واستقرارها عكس سابقيهم من السلاجقة والبويهيين[6]، فقد ساعد هذا الاستقرار نور الدين محمود للمضي قدما في تنظيم أموردولته.

فعند دخوله لحلب, كان قد ترك الشيعة يمارسون شعائرهم علنا، ولم يناوئهم على ذلك حتى لا يزيد من المشاكل، ولكنه ابتداء من شوال(541 هـ / 1147م)، تغير موقفه بالنسبة إلى الشيعة في داخل دولته، وأخذ يعمل على إعادة فرض المذهب السني في داخل حلب [7]، فغير الأذان، ومنع المؤذنين من قول "حي على خير العمل"، وجلس تحت المنارة ومعه الفقهاء وقال لهم " من لم يؤذن الأذان المشروع فألقوه من المنارة على رأسه"، كما شرع نور الدين في تجديد المدارس والربطات في حلب، فجدد المدرسة المعروفة بالحلاويين في سنة (543 هـ / 1143م)، واستدعى برهان الدين أبا الحسن علي بن

[1] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ،ج1، ص 477.
[2] - تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 125.
[3] - نفس المرجع، ص 125.
[4] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 193.
[5]- أنظر الملحق رقم06.
[6] - نفس المصدر، ج1، ص 193
[7] - محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 94 – 95.

الحسن البلخي الحنفي وولاه التدريس بها، وجدد المدرسة العصرونية على المذهب الشافعي وولاها شرف الدين بن أبي عصرون، ومدرسة النفري وولاها قطب النيسبوري، ومسجد الغضائري وولاه الشيخ شعيب و كلهم من كبار العلماء والفقهاء[1]، وهذا ما يدل على تمتع نور الدين بمقدرة فائقة على حسن اختيار الرجال، الأمر الذي هيأ له حاشية من الأوفياء أخلصوا له النصح والتعاون معه بصدق وإيمان، ولعل من أشهر هذه الشخصيات، أسد الدين شريكوه، الذي كرس سنوات عديدة من حياته في خدمة نور الدين[2].

لقد امتاز الوضع العام في بلاد الشام، بانقسام كبير بين حكامه فكانت بعض الإمارات تحت حكم الصليبيين، مثل بيت المقدس وإمارة أنطاكية وإمارة الرها التي حررها عماد الدين زنكي، وبعض الإمارات الأخرى في أيدي المسلمين، ولكن تحالفوا مع الصليبيين مثلما فعل عمر والي عزاز[3], في بداية حكم الصليبيين، حيث تحالف مع جود فري بويون و ريموند التولوزي ضد سيده رضوان، وكانت نتيجة ذلك دخول عزاز تحت حكم جود فروي سنة (491هـ – 1093م) [4]، ونجد كذلك من التحالفات ما حدث زمن عماد الدين زنكي حيث أنه لما ضرب حصارا على دمشق، قام حاكمها مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بالاستعانة بالإفرنج على عماد الدين مقابل أموال كثيرة[5]، بالإضافة إلى مساعدتهم في تملك قلعة بانياس[6]،التي كانت تحت نفوذ عماد الدين زنكي، مما أضطر هذا الأخير بالانصراف عن دمشق، لكن الفرنجة بقيادة أرناط أمير أنطاكية بمساعدة معين الدولة أنر أحد قادة دمشق خرجوا واحتلوا بانياس[7].

كما استغل الحكام المسلمون استشهاد عماد الدين زنكي للانقضاض على ممتلكاته فنجد حاكم دمشق معين الدين أنر، شرع في التأهب والاستعداد للاستيلاء على بعلبك،

---

[1] - سهيل زكار:المصدر السابق، ج 1، ص ص 125 – 126..
[2] - محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 95.
[3] - **عزاز**: معناها الأرض الصلبة، وهي بلدة فيها قلعة، وتقع شمال حلب بينهما مسيرة يوم. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 117.
[4] - حامد زيان غانم زيان: المرجع السابق، ص 57.
[5] - أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 125..
[6] - **بانياس**: هي مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص. ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج1،ص 489.
[7] - أحمد الشامي: نفس المرجع ، ص 126.

حيث نزلها وحاصرها ولم يمض إلا أيام قلائل حتى قل الماء فيها مما اضطر أهلها إلى الاستسلام وتسليم المدينة [1].

وأول مشكلة داخلية واجهت نور الدين هي عصيان أهل الرها، عليه حيث لما قتل والده عماد الدين, كان جوسلين الثاني، الذي كان صاحب الرها قبل فتحها من طرف عماد الدين زنكي, بناحية تل باشر[2]، فراسل أهل الرها وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد إليه، فأجابوه إلى ذلك[3]، وسار في عساكره إلى الرها وملك البلد، لكنه لقي مقاومة من مسلمي المدينة،غير أنه تمكن من الانتصار عليهم[4], ما عدا قلعة الرها التي احتمت فيها الحامية السلجوقية [5].

فبلغ الخبر إلى نور الدين محمود، وهو بحلب فسار إليها في عسكره[6]، وحاصر مدينة الرها وبذلك وجد جوسلين الثاني رفقة من والاه من الصليبيين والأرمن أنفسهم قد وقعوا بين شقي الرحى، فالسلاجقة داخل الرها محتمين بقلعتها، ونور الدين محمود يحاصر المدينة من الخارج، ومن الواضح أنه أقصى ما كان يستطيع فعله جوسلين أن يفر هاربا من المدينة، ولكن بصعوبة بالغة وخسارة كبيرة في قواته, لأن الفرسان السلاجقة لاحقوهم وقتلوا منهم ثلاثة أرباعهم[7]، فيما أصيب جوسلين بجروح في رقبته، لكن استطاع الهروب إلى سميساط[8].

أما نور الدين محمود فقد دخل المدينة ونهبها وسبا أهلها[9]، وقام بتأديب المنتفضين وكان ذلك في جمادى الثاني (541 هـ / نوفمبر 1146م)[10]، أما أخوه سيف الدين فقد

---

[1] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 195.

[2] - **تل باشر**: هي قلعة حصينة في شمال حلب بينهما مسيرة يومين، أهلها نصارى، أرمن، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2،ص 40.

[3] - السيد علي الحريري:المرجع السابق، ص 92.

[4] -أبن الأثير:المصدر السابق، ج9، ص 242.

[5] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 478.

[6] - سهيل زكار: المصدر السابق، ج16، ص 124.

[7] - سعيد عبد الفتاح عاشور: نفس المرجع، ص 478.

[8] - **سميساط**: هي مدينة على الشاطئ الغربي للفرات بها قلعة يسكنها الأرمن. ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج3, ص 258.

[9] - سهيل زكار: نفس المصدر، ج16، ص 124.

[10] - محمد العروسي المطوي:المرجع السابق، ص 69.

بلغه أيضا خبر عصيان الرها، فسير إليها العساكر هو أيضا، وفي أثناء المسير بلغهم خبر استيلاء نور الدين زنكي عليها فعادوا [1].

بعد حادثة الرها انطلق نور الدين في توحيد القوى الشامية القريبة منه، وكانت له عدة أهداف من ذلك, فكان يريد أولا السيطرة على خطوط التجارة الرابطة بين شمال وجنوب الشام وشمال العراق، والاستيلاء كذلك على مراكز الصناعة الكبرى في المدن ومراكز تكتل السكان، والأهم من ذلك، الهيمنة على المواقع الفعالة في المواجهة مع الصليبيين[2]، وقد استخدم نور الدين عدة أساليب للضم تلك المناطق, منها العسكرية والدبلوماسية وحتى المصاهرة [3].

وبدأ نور الدين في ذلك باستمالة حاكم دمشق معين الدين أنر، حيث في شوال سنة (541هـ / 1143م)، ترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين أنر، إلى أن استقر الأمر بينهما[4]، ولم يكتفي نور الدين بعقد الاتفاقية فقط بل عمل على تدعيمها بالزواج من ابنة أنر,وبذلك مهد الطريق إلى انتزاع دمشق من التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية [5]، ولكن ومع علم شيخ دمشق معين الدين أنر بأطماع الزنكيين في دمشق, فقد بقي محافظا على علاقته الحسنة مع الصليبيين، حيث أبقى التحالف مع بيت المقدس من جهة ومع نور الدين من جهة أخرى[6], غير أن دعم مملكة بيت المقدس التونتاش حاكم صرخد[7], وبصرى[8] المنشق على معين الدين أنر كسر التحالف بينهما [9]، واستنجد أنر بنور الدين ضد الصليبيين فأتى إليه من حلب مسرعا على رأس جيش ضخم، وانتهى الأمر بهزيمة الصليبيين و التونتاش جميعا وسلمت صرخد وبصرى إلى

[1] - السيد علي الحريري: نفس المرجع، ص 92.
[2] - محمد مؤنس أحمد عوض: **في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1998، ص 109.
[3] - نفس المرجع, ص ص 107 – 111.
[4] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 199.
[5] - محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 98.
[6] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 482.
[7] - **صرخد**: قلعة حصينة و ولاية حسنة ملاصقة لبلاد حوران من أعمال دمشق، ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج3، ص 401.
[8] - **بصرى**: هي مدينة بالشام تابعة لدمشق، في منطقة حوران من أعمال دمشق. نفس المصدر، ج1،ص 441.
[9] - محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 99

معين الدين أنر سنة(542 هـ/ 1144م)، أما التونتاش فقد توجه إلى دمشق طمعا في الغفران، لكن ألقي عليه القبض وحكم عليه و سملت عينه [1].

أما بخصوص عائلة زنكي فلم تطل مدة حكم سيف الدين غازي أخو نور الدين على ولايته للموصل لوفاته سنة (544هـ / 1146م), وكان عمره في ذلك الوقت 40 سنة [2]، وخلفه أخوه قطب الدين على الموصل والجزيرة [3], فراسل بعض أمراء قطب الدين نور الدين طالبين منه الحضور, منهم الأمير المقدم والد شمس الدين بن المقدم، فسار إليهم نور الدين بسبعين فارسا، وقام هؤلاء الأمراء بتسليم سنجار إلى نور الدين[4]، وهذا ما أدى إلى نزاع حول سنجار بين نور الدين وأخيه قطب الدين[5]، وأوشك القتال أن ينشب بين الأخوين لولا تدخل جمال الدين الأصفهاني وزير قطب الدين للصلح بينهما، واستقر الأمر على أن تكون الموصل وديار الجزيرة فيما عدا سنجار لقطب الدين، على أن يخطب في بلاد قطب الدين لنور الدين، وما لبث أن تخلى نور الدين عن سنجار لقطب الدين، مقابل حصوله على حمص والرحبة بأرض الشام فبقي الشام لنور الدين، وبذلك عاد الوفاق بين الأخوين [6], وبهذا خطى نور الدين خطوة كبيرة نحو توحيد بلاد الشام تحت سيادته [7].

أما في دمشق فبعد وفاة معين الدين أنر سنة (544 هـ / 1149م)، قام بخلافته مجير الدين أبق الذي يصفه أغلب المؤرخين بالضعيف, الأمر الذي جعله يتغاضى على الأخطار التي هددته من طرف الصليبيين من الجنوب وأطماع نور الدين زنكي من الشمال[8], وهذا ما أدى به لدخول دمشق تحت الحماية الصليبية، متفقين مع مجير الدين حاكم دمشق على أن يكونا يدا واحدة على من يقصدهم من عساكر المسلمين [9].

---

[1] - ابن القلانسي: أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، (ت 555 هـ - 1160م): **تاريخ دمشق**، تح سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق،سوريا،(د ط), 1983، ج2، ص 452.

[2] - أبن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص4.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 359.

[4] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 235.

[5] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 497.

[6] - ابن الأثير: نفس المصدر، ج9، ص 360.

[7] - سعيد عبد الفتاح عاشور: نفس المرجع، ص 498.

[8] - نفس المرجع ، ص 511.

[9] - أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 239.

ونتيجة لذلك التحالف اتجه نور الدين إلى دمشق ونزل بعساكره خارجها، فما كـــان مـــن مجير الدين ألا أن يراسل بلدوين الثالث يستنجده، في حين كان سكان دمشق يدفعون ضريبة سنوية إلى الصليبيين مقابل حمايتهم، وهذا ما أدى إلى تدهور حالة السكان من جمـــيع النواحي، الأمر الذي استغله نور الدين لمحاصرة دمشق[1]، لكن لم يلبث نور الدين أن فك الحصار على دمشق، وانسحب بقواته من أمام أسوارها, وكان السبب في ذلك هو إشفاقه من سفك دماء المسلمين إذا قام بحربها ومضايقتها, واتفق مع أرباب دمشق على إقامة الخطبة له على منابر دمشق بعد الخليفة والسلطان، كذلك ضرب السكة باسمه[2]، وهذا بالإضافة إلى أن مجير الدين أبق, الذي عرض على نور الدين في (محرم 545هـ / أفريل 1150م) أن يدخل في طاعته شريطة أن يضل في حكم دمشق، فوافق نور الدين على ذلك، وأرتحل عائدا إلى حلب[3]، لكن نور الدين عاود الكرة مجددا في السنة المـــوالية في(محـــــرم 546 هـ / أفريل 1151م)، محاولا القضاء على البيت البوري المتحالف دائما مع الصليبيين.

نزل نور الدين بعسكره في أرض عذراء[4]، وقد سبقه كتائب من جيشه إلى ناحية السهم[5]، وكمنوا عند جبل لعسكر دمشق، غير أن الدمشقيين تفطنوا لذلك، وتراجعوا نحو دمشق، ثم التحق نور الدين بعسكره في منطقة عيون فاسريا [6], فخرج مجموعة من العسكر الدمشقي فعاثوا في الأرض فسادا، فأتلفوا زروع الناس وثمارهم، فارتفعت الأسعار[7], وهذا ما أدى بنور الدين إلى إرسال رسله إلى ولاة أمور دمشق، يخبرهم بقوله " ما أوثر إلا صلاح المسلمين وجهاد المشركين, وخلاص بمن في أيديهم من الأسرى، فإن قهرتم معي عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهاد، وجرى الأمر على الوفاق والسداد

[1] - محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 111.
[2] - أبو شامة : المصدر السابق، ج1، ص ص 240- 241.
[3] - ابن القلانسي:المصدر السابق، ج2، ص 406.
[4] - **أرض عذراء** : هي قرية بغوطة دمشق، في إقليم خولان، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 91.
[5] -**السهم**: منتزه من منتزهات دمشق، ابن قلانسي: نفس المصدر، ج2، ص 485.
[6] - **عيون فاسريا**: هي منطقة بين عذراء ودومة، في سفح جبل دومة، نفس المصدر، ج2، ص 485.
[7] - أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص ص 257 – 258.

فذلك غاية الإيثار والمراد "، ولكنهم أغلقوا آذانهم على هذا النداء وردوا عليه بما لا يوافق رغبته [1].

فما كان من نور الدين إلا أن زحف على دمشق، لكنه لم يشن هجوما عليها حقنا لدماء المسلمين مثلما فعل من قبل، غير أنه تراجع عن حصاره لدمشق نحو داريا[2]، لما بلغه خروج بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، الذي كان متجها لمساندة حلفائه من حكام دمشق، ووصل هذا الأخير إلى أسوار المدينة في(3 ربيع الأول 546 هـ/ 20 جوان 1151م)، حيث سمح له مجير الدين بالدخول إلى البلد لقضاء حوائجهم، واتفق مجير الدين وبلدوين الثالث على الاستيلاء على حصن بصرى، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك, لنجدة نور الدين لصاحب الحصن، وبسبب عدم تهيأ خروج العسكر الدمشقي لاختلافهم فيما بينهم[3].

ولم يكد الصليبيون يرجعوا إلى البيت المقدس حتى قرر نور الدين الزحف مجددا على دمشق لمهاجمتها وامتلاكها، لكنه عدل على ذلك حقنا لدماء المسلمين، ومن هذا المنطلق دارت المفاوضات بينه وبين الدماشقة لعقد الصلح بينهما، في ربيع الثاني من سنة (546هـ/ 1151م)، شارك في هذه المفاوضات أسد الدين شريكوه نيابة على نور الدين و نجم الدين أيوب أخو أسد الدين نيابة عن مجير الدين، وانتهى الأمر بعقد اتفاقية صلح بين الجانبين، وارتحل نور الدين عائدا إلى حلب [4].

ولتعزيز العلاقة بينهما بادر مجير الدين بزيارة ودية إلى حلب في (12 رجب 546 هـ / 25 أكتوبر 1151م), فرحب به نور الدين وأكرمه[5] ، ومع ذلك لم يكن نور الدين راضيا على سياسة الدماشقة الذين لازالوا مرتبطين باتفاقية تحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية[6] .

---

[1] - ابن القلانسي: نفس المصدر ، ج 2، ص 485.
[2] - **ذاريا**: وهي قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، ياقوت الحموي:نفس المصدر ، ج2، ص 431.
[3] - أبو شامة: المصدر السابق ،ج1,ص259.
[4] - محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 112 – 113.
[5] - محمد مؤنس أحمد عوض:المرجع السابق، ص 113
[6] -محمود محمد الحويري : نفس المرجع ،ص 112.

وعزم نور الدين أمره هذه المرة, خصوصا بعد استيلاء الفرنجة على عسقلان مستهدفين الاستيلاء على دمشق بعد ذلك، فلما رأى نور الدين ذلك خاف أن يملكها الإفرنج، فلا يبقى حين إذ للمسلمين بقاء في الشام[1]، ففي هذه المرة سعى نور الدين إلى إعمال الحيلة في أخذها، وليحقق ذلك راسل مجير الدين أبق مظهرا له المودة حيث وصله بالهدايا حتى وثق به[2]، وراسله أيضا بأخبار بأنه تلقى عروضا عديدة من بعض أمراء دمشق طالبين منه المساعدة ضد مجير الدين فدخله الشك من أمرائه[3]، ما أدى به إلى مصادرة أملاكهم وقتل بعضهم[4]، كما استغل نور الدين عامل كره العامة في دمشق لمجير الدين أبق، فعمل نجم الدين أيوب أمير بعلبك الموالي لنور الدين على بث عملائه داخل المدينة لزيادة الشقاق بين العامة ومجير الدين أبق[5]، الذي قدم إليه الأمير عطاء بن حفاض السلمي الخادم, وفوض إليه أمر دولته، فعمل نور الدين على الإيقاع بينهما، فقبض مجير الدين ابق على الأمير عطاء السلمي وقتله، حيث قال له قبل قتله:" إن الحيلة قد نمت عليك، فلا تقتلني، فإنه سيظهر لك ما أقول"، فلم يصغ إلى قوله وقتله[6].

وقد حدث وقت ذلك أن شحت الأقوات في دمشق، وعندئذ منع نور الدين القوافل التي كانت تجلب القمح من ناحية الشمال، وأشاع أيوب بأن غلاء زرعهم ناجم عن خطأ مجير الدين لأنه رفض التعاون مع إخوانه المسلمين[7]، مما أوقع مدينة دمشق في حالة فوضى وشعور سكانها بالاستياء من حاكمها، مما جعل نور الدين يتأكد من نجاح خطته، ويبادر لتنفيذ الحلقة الأخيرة منها، فلجأ إلى استمالة حرس المدينة وبعض رجالها[8]، ثم قام نور الدين بإرسال أسد الدين شريكوه بسفارة إلى دمشق في ألف من العسكر، فأنكر أبق

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 398
[2] - محمود محمد الحويري: نفس المرجع ، ص 113
[3] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 516.
[4] - محمود محمد الحويري: نفس المرجع ،ص113
[5] - ستيفان رانسيمان: **تاريخ الحروب الصليبية**، تر، السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان،(د ط), 1997، ج2، ص 549.
[6] -أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 286.
[7] - ستيفان رانسيمان: نفس المرجع ، ج2، ص 549.
[8] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ج2، ص517.

ذلك ولم يخرج إلى استقبالهم، بل رفض مجرد السماح له بالدخول إلى المدينة، وتكررت المراسلات بينهما، ولم تسفر عن جديد [1].

فاعتبر نور الدين أن هذا التصرف إهانة إلى شخصه، وزحف بقواته إلى دمشق في (2صفر سنة 549 هـ / أفريل 1154م)، فلما وصل نور الدين راسل مجير الدين ابق الإفرنج يستنجد بهم, ويغريهم بالأموال وبتسليم قلعة بعلبك، فشرعوا في تجهيز أنفسهم لتلبية الطلب [2] ولكن بعد أسبوع من حصار نور الدين لدمشق، وحدوث بعض المناوشات الخفيفة خارج السور الشرقي للمدينة, أذنت امرأة يهودية لجماعة من عساكر نور الدين في دخول إلى حي اليهود، فبادر العوام إلى فتح الباب الشرقي للمدينة لسائر الجيش، فهرب مجير الدين إلى القلعة[3]، واحتمى بها بضعة ساعات إلى أن استسلم، وعندئذ أطلق نور الدين صراحه، وأقطعه حمص والمناطق التابعة لها[4]، وبذلك انتزع نور الدين محمود دمشق من يد مالكها مجير الدين أبق[5].

وفي تلك الأثناء استقبل أهل دمشق نور الدين بكل مظاهر الفرح والسرور، فمنع جنده من النهب، وبادر فورا بإغراق الأسواق بالمواد الغذائية، وألغى الضريبة المقررة على الفاكهة والخضروات، عاد نور الدين بعدها إلى حلب , وأناب عنه نجم الدين أيوب في حكومة دمشق [6].

بعد نجاح نور الدين في ضم دمشق واصل مشروعه الأكبر في توحيد القوى الإسلامية واتجهت أنظاره نحو بعلبك، وكان يحكمها ضحاك البقاعي نيابة عن مجير الدين أبق صاحب دمشق السابق، فلما ملك نور الدين دمشق تحصن ضحاك بقلعته، ولم

[1] - ابن القلانسي: المصدر السابق، ج2، ص 503.
[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 398.
[3] - ستيفان رانسيمان: نفس المرجع ،ج2، ص 550.
[4] - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ، ص 517.
[5] - ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص 370.
[6] - رانسيمان ستيفان: المرجع السابق، ج2، ص 550.

يتمكن نور الدين من محاصرتها لقربها من الإفرنج[1]، فاتصل نور الدين بنجم الدين أيوب الذي توسط له في تسلم بعلبك [2], فسلمت له المدينة سنة (550 هـ/ 1155م) [3].

ثم استهدف بعد ذلك شيزر[4]، التي كانت تحت حكم آل منقذ الكنعانيين، وكان حصن شيزر من ضمن أهداف نور الدين منذ زمن بعيد، وذلك لتعاطفه مع أبناء مرشد بن علي بعد قيام عمهم السلطان بن علي بطردهم من شيزر، لكنه انشغل بالحروب العديدة مع الإفرنج، واشتد حنق نور الدين على حكام شيزر, بعد سماعه باتصالهم بالإفرنج، وأخذ ينتهز الفرصة بالاستيلاء على هذا الحصن[5]، إلى أن ضرب زلزال بلاد الشام فانهدم حصنها على واليها تاج الدولة بن أبي العساكر بن منقذ[6], وكل أسرة آل المنقذ في ذلك الوقت لأنهم كانوا مجتمعين في احتفال لختان ولد الحاكم [7].

فخليت القلعة من الحكام وكثر عليها الصراع, فاستولى عليها جماعة من المغامرين الحشاشين، ثم وصلتها جماعة من الجيوش الصليبية وأقاموا عليها حصارا، وكادت أن تقع بين أيديهم لولا أنه وقع صراع بين المحاصرين[8], سببه أن بلدوين الثالث ملك بيت المقدس رغب في إعطاء شيزر إلى كونت فلاندرز الواصل حديثا من الغرب الأوروبي، غير أن حاكم أنطاكية " ريجنالد شاتيون" طلب من كونت فلاندرز الولاء والتبعية، كما كان يفعل أمراء بني منقذ، فرفض الكونت أن يكون تابعا لبارون فرنسي أقل منه شأنا.

---

[1] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 296.
[2] - سهيل زكار: المصدر السابق، ج16, ص 277.
[3] - حسب ابن الأثير، فإن تسلم نور الدين المدية كانت سنة (552 هـ - 1157 م).أنضر ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص 419.
[4] - **شيزر**، هي قلعة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة مسيرة يوم، يقطعها نهر الأردن ، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 383.
[5] - ابن الأثير:نفس المصدر ، ج9، ص 415.
[6] - ابن القلانسي: المصدر السابق، ج2، ص 527.
[7] - ابن الأثير:المصدر السابق ، ج9، ص 415.
[8] - ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2، ص 563.

ونتيجة لذلك ترك الصليبيون شيزر[1], وخلى الجو بذلك إلى نور الدين حيث تسلمها أحد أبناء المرشد، فسلمها لنور الدين، فعمر أسوارها ودورها، وأصلحها من جديد وكان ذلك في سنة (552 هـ /1157م)[2].

وبعد سنتين من هذا التاريخ ضرب زلزال عنيف بلاد الشام أدى إلى نكبة كبيرة بين السكان، وفي ذلك الحين كان نور الدين يعاني من مرض ألزمه الفراش، حيث أضعف قوته وبث الرعب بين خواصه ورعيته، ولما أحس من نفسه بالضعف تقدم إلى خواصه وأوصاهم قائلا " إنني قد عزمت على وصية إليكم بما قد وقع في نفسي، فكونوا لها سامعين مطيعين، ولشروطها عاملين"، فقالوا "السمع والطاعة لأمرك، وما تقرر من رأيك وحكمك..." فقال" إنا أخي نصرة الدين أمير ميران أعرف من أخلاقه وسوء أفعاله ولا أرتضي معه لتوليته أمرا من أمور المسلمين، وقد قع اختياري على أخي قطب الدين مودود بن عماد الدين... "[3]، غير أن بعض أمراء نور الدين بدأو في نصب المكائد، حيث راسلوا أخاه، نصرة الدين أمير ميران، صاحب حران، يخبرونه بدنو أجل أخيه، ويحثونه على الإسراع لدمشق لتسلمها [4].

وبلغ الخبر هذا أيضا إلى أسد الدين شريكوه أمير حمص، فقام بالمسير إلى دمشق ليسيطر عليها، وكان على رأس دمشق آنذاك أخوه نجم الدين أيوب فعاتبه على ذلك، ونصحه بالمسير إلى حلب، والوقوف إلى جانب نور الدين إن كان حيا وإن كان قد مات فسيتصرف حيال ذلك[5]، فأسرع أسد الدين إلى حلب فوجد نور الدين حيا، وبدأ يستعيد بعضا من عافيته، فقام أسد الدين بإجلاس نور الدين على شباك في قلعته لكي يراه الناس ويكلمهم، فلما رأى الناس نور الدين حيا تفرقوا عن أخيه نصرة الدين الذي فرض حصارا على قلعة مدينة حلب في ذلك الوقت[6]، وفي نفس الوقت خرج قطب الدين قاصدا دمشق

[1] - محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 118.
[2] - ابن الأثير: نفس المصدر ، ج9، ص 415.
[3] - ابن القلانسي: نفس المرجع، ج2، ص 542.
[4] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 430.
[5] - ابن الأثير:المصدر السابق ، ج9، ص 435.
[6] - نفس المصدر, ج9، ص 435.

لتوليها، غير انه لما بلغه خبر عافية نور الدين عاد إلى الموصل[1], وبعد تفرق الناس عن نصرة الدين تراجع نحو حران واستقل بها.

وعند استعادة نور الدين عافيته توجه إلى حران لمنازلتها واستعادتها من أخيه نصرة الدين، وفرض عليها حصارا وقعت خلاله مراسلات ومناوشات بين الطرفين، إلى أن استسلمت القلعة إلى نور الدين[2], في حين فر أخوه منها تاركا أولاده بها، وكان ذلك سنة (554هـ /1159م).

وتوالت الأحداث وتواترت إلى أن برز من جديد اهتمام نور الدين بضم قلعة جعبر وكانت آخر محاولة لضمها من طرف والده عماد الدين، وكان صاحبها في تلك الفترة شهاب الدين مالك بن علي بن مالك[3]، وخلال إحدى رحلاته للصيد تمكن أتباع نور الدين من اعتقاله وتسليمه إلى نور الدين في سنة (563 هـ /1167م)، وقد قام نور الدين بالإحسان إليه وإغرائه بالقلاع والمال طمعا في أن يسلمه القلعة، فلم يفعل، وهذا ما أدى بنور الدين إلى تهديده، لكن صاحب قلعة جعبر لم يتراجع عن رأيه[4]، فسير إليه نور الدين جيشا بقيادة القائد فخر الدين مسعود بن على الزعفراني، فضرب عليها حصارا، لكنه لم يتمكن من ذلك بشيء .

ثم أرسل إليه نور الدين إمدادات عسكرية، وأوكل مهمة القيادة إلى مجد الدين أبي بكر المعروف بابن الداية، الذي اتبع أساليب السياسة في فتحها بعد أن لاحظ استحالة النجاح بالوسائل العسكرية[5]، فعرض على شهاب الدين أن يسلم القلعة على أن يأخذ التعويض من نور الدين حفاظا على حياته، فقبل هذا العرض[6], مقابل حصوله على

[1] - أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 340.
[2] - ابن القلانسي: المصدر السابق، ج2، ص 547.
[3] - البنداري فتح بن علي (ت583 هـ - 1187م): **سنا البرق الشامي**, تح فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)1979، ص 38.
[4] - ابن الأثير: نفس المصدر،ج10، ص 11.
[5] - أبو شامة :المصدر السابق ، ج2، ص 29.
[6] - ابن الأثير: المصدر السابق ، ج10، ص 11.

سروج[1]، بأموالها والملوحة[2]، وأدوم[3]، والباب[4]، بأموالها وعشرون ألف دينار، فإذا تسلم ذلك سلم هو القلعة، وفي سنة (64 هـ / 1168م), سلم شهاب الدين قلعة جعبر إلى مجد الدين أبو بكر[5]، مقابل تسليمه سروج والملوحة والباب[6]، والملاحظ أنها كلها مناطق لا تحتوي على قلاع تحميها وذلك للحد من قوة العقيليين الذين ينتسب إليهم شهاب الدين[7]، وسار إليها نور الدين واطلع عليها يوم الخميس(20 محرم 564 هـ /23 أكتوبر 1168)[8].

يعد وفاة قطب الدين حاكم الموصل, وشقيق نور الدين, بمثابة الحافز لنور الدين لإكمال مشروعه الوحدوي، حيث تولى حكم الموصل سيف الدين غازي بن قطب الدين[9]، وذلك إثر مؤامرة دبرتها الخاتون زوجة قطب الدين لإبعاد عماد الدين زنكي الثاني على الحكم، وهو الوارث الشرعي لأبيه[10]، وشهدت الأوضاع استبداد الوزير فخر الدين عبد المسيح بالحكم في الموصل[11]، فالتجأ عماد الدين إلى عمه نور الدين مستنصرا به لاستعادة ملك الموصل[12]، ونتيجة لهذه الأحداث قرر نور الدين التدخل في الموصل قائلا " أنا أولى بتدبير أولاد أخي وملكه".

وسار بعد انقضاء العزاء في سرية بجيشه نحو الموصل عابرا الفرات عند قلعة جعبر واستولى على الرقة[13]، والخابور وناصبين[14]، وأقام بها وجمع عساكره ثم سار إلى سنجار

---

[1] - **سروج**: بلدة قريبة من حران من ديار مضر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 216.
[2] - **الملوحة**: فرية كبيرة من قرى حلب، نفس المصدر، ج5، ص 195.
[3] - **أدوم**: يضن أنه جبل. البنداري: المصدر السابق، ص 38.
[4] - **الباب**: هي بلدة صغيرة في طرف وادي بطنان التابع لحلب. ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج1، ص 303.
[5] - البنداري: نفس المصدر، ص 38.
[6] - سهيل زكار: المصدر السابق، ج 16، ص 143.
[7] - محمد مؤنس أحمد عوض: المرجع السابق، ص 143.
[8] - البنداري: نفس المصدر ، ص 38.
[9] - محمد مؤنس أحمد عوض: نفس المرجع، ص ص 127- 128.
[10] - تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 155.
[11] -البنداري: نفس المصدر ، ص 49.
[12] - تيسير بن موسى: نفس المرجع، ص 155.
[13] - **الرقة**: مدينة مشهورة في الفرات بينها وبين حران ثلاث أيام تعد تابعة لبلاد الجزيرة ، ياقوت الحموي: المصدر السابق,ج3، ص 59.
[14] - **الناصبين** : هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل 6 أيام، نفس المصدر ، ج5، ص 288.

وحاصرها ثم ملكها وسلمها إلى عماد الدين الثاني[1]، وكانت قد وصلته مراسلات من أمراء الموصل يحثونه على السرعة إليهم ليسلموه البلد، فسار إليهم ونزل بشرق الموصل على حصن نينوى[2]، ومن العجب أنه يوم نزول نور الدين سقط من صور الموصل جزء كبير، في حين، قام سيف الدين غازي بالاستنجاد بالأتابك سيف الدين أيلدكز، صاحب همذان، ضد عمه نور الدين، فأرسل أيلدكز إلى نور الدين ينهاه عن التعرض للموصل, فلم يلتفت إليه نور الدين[3]، واستمر نور الدين في حصاره على الموصل، وعند إدراك الوزير عبد المسيح ضعف موقفه ومساندة العامة في الموصل لنور الدين، راسله بتسليم البلد إليه، على أن يبقى سيف الدين في الحكم، ويطلب الأمان وإقطاعا يكون له، فأجاب له نور الدين بذلك[4]، وبذلك تم لنور الدين وحدة الموصل وبلاد الشام، مما يدل على نجاح مشروعه الوحدوي لمختلف القوى الإسلامية.

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج1، ص 30
[2] - **نينوى**: هي قرية بالموصل ، ياقوت الحموي ، نفس المصدر، ج5، ص 339.
[3] - ابن الأثير: نفس المصدر، ج10، ص 30
[4] - أبو شامة: المصدر السابق، ج 2، ص 109.

المبحث الثاني: صراع نور الدين مع القوى الصليبية في الشام

يعتبر عصيان أهل الرها من الأرمن، بإيعاز من جوسلين الثاني لاسترجاعها، أول تدخل صليبي في حق ممتلكات الدولة الزنكية، وأدى هذا التدخل إلى إسراع نور الدين إلى إعادة السيطرة على الرها[1]، حيث وقع قتال كبير بين الطرفين أدى إلى هزيمة الصليبيين والأرمن هزيمة فادحة، وتمكن نور الدين من استعادة المدينة تحت نفوذه[2].

أدى هذا النصر الذي حققه نور الدين مباشرة بعد توليه إلى خيبة أمل الصليبيين، الذين ظنوا أنهم ارتاحوا من خطر كبير بوفاة عماد الدين زنكي، وأن ابنه نور الدين لا يملك من الخبرة والكفاية، ما يجعله خطرا عليهم، فأثبت لهم نور الدين عكس ذلك[3]، كما أدى انتصاره هذا إلى استقطاب أنظار المسلمين إليه وجعلهم يلتفون حوله[4]، ودعم نور الدين نصره هذا بالتوسع على حساب الصليبيين، فقام بفتح مدينة أرتاح[5]، وقام بنهبها، و بعدها كفر لاثا[6], وعدة حصون أخرى.

وقد أدت هذه الأحداث في النهاية إلى إصرار, ريموند كونت أنطاكية على قدوم حملة صليبية مشابهة للحملة الأولى من الغرب الأوربي[7]، فقام الأسقف يوجين الثاني من أنطاكية نهاية سنة(540هـ / 1145م), بإرسال منشور بابوي إلى فرنسا يدعوا إلى حملة صليبية[8]، كما أرسل الحكام الصليبيين في المشرق، وفدا إلى البابا أوجانيوس الثالث في غرب أوروبا، فلما وصل إليه الوفد وقابله وأعلمه بالأوضاع في بلاد الشام والخطر الذي بات يهدد الوجود الصليبي هناك،

---

[1]- أنظر الملحق رقم 06.
[2]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 190.
[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 479.
[4]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 127.
[5]– **أرتاح:** اسم لحصن منيع تابع لحلب. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 140.
[6]– **كفر لاثا:** بلدة تقع في سفح جبل تابع لحلب. نفس المصدر، ج4، ص 470.
[7]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 190.
[8]– أرنست باركر: المرجع السابق، ص 73.

بكى البابا وتذكر ما فعله سلفه البابا أوربانوس الثاني، فشرع في تحرير رسائل إلى ملوك أوربا يحرضهم على القيام بحملة صليبية أخرى[1].

ولم يلبث أن ظهر رد فعل سريع لهذه الدعوة خصوصا من لويس السابع ملك فرنسا، وهو المعروف بورعه وتقواه[2]، على أن النجاح الأكبر لم يتحقق إلا بعد أن انضم القديس برنارد إلى الدعوة للحملة[3]، حيث عقد مجمع كنسي في مدينة فيزولاي[4]، فاستجاب لهذه الحملة إلى جانب لويس السابع كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا[5]، وبهذا النحو تكونت الحملة الصليبية الثانية، و خرجت من أوربا سنة (542هـ / 1147م)[6]، بقيادة هاذين الملكين[7].

وتميزت هذه الحملة عن سابقاتها بأنها ذات طابع مختلف، بينما اتخذت الحملة الأولى صفة هجرة ضخمة تألفت من جموع مختلفة, ومن دول متعددة من الغرب الأوربي، كانت الحملة الصليبية الثانية تتألف من جيشين كبيرين ينتميان إلى أكبر دولتين في الغرب الأوربي هما فرنسا وألمانيا[8]، ووصلت هذه الحملة إلى القسطنطينية في (جمادي الأولى –جمادي الثانية عام542هـ / أكتوبر– نوفمبر 1147م)، ولم تكن علاقة الصليبيين مع الامبراطور البيزنطي إمانويل حسنة، ولهذا سرعان ما توجه الصليبيون إلى آسيا الصغرى[9].

أما كونراد الثالث فقد اتخذ الطريق الذي سلكته الحملة الصليبية الأولى، في آسيا الصغرى فاصطدم بسلاجقة قونية في معركة يوم(28 جمادي الأولى 542هـ/ 25 أكتوبر 1147م)، هلك فيها تسعة أعشار جنوده، ووقع معسكره

---

[1]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 93.
[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ج1، ص 489.
[3]– أرنست باركر: المرجع السابق، ص 73.
[4]– **فيزولاي**: مدينة فرنسية في مقاطعة آفلون حاليا. محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 69.
[5]– نفس المرجع، ص 70.
[6] -أنظر الملحق رقم 07.
[7]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 130.
[8]– سعيد عبد الفتاح عاشور: نفس المرجع، ج1، ص 485.
[9]– محمد العروسي المطوي: نفس المرجع، ص 70.

غنيمة في أيدي السلاجقة[1]، وهذا ما أدى بكونراد الثالث بالفرار والانسحاب إلى مدينة نيقية مع بقية جيشه الذي لا يتجاوز ألفين مقاتل، وبهذه الكارثة فقد الجيش الألماني قوته وفعاليته قبل أن يصل إلى بلاد الشام[2]، ثم رجع إلى القسطنطينية وامتطى هناك سفن نقلته إلى بيت المقدس[3].

أما لويس السابع ملك فرنسا سلك الطريق الساحلي لبلاد الأناضول تجنبا لملاقاة السلاجقة، ولكن رغم ذلك فقد التقت به الجيوش الإسلامية السلجوقية في (شعبان 542هـ / جانفي 1148م)، في جهة بيسيدي[4]وقامت بالقضاء على معظم جيشه، وهنا يبرز مدى الدرس الذي تعلمه السلاجقة من فشلهم في مواجهة الحملة الصليبية الأولى، فمباشرة بعد قدوم الحملة الصليبية الثانية سعوا للقضاء عليها بأقصى ما أوتوا من قوة، ولم ينشغلوا بمشاكلهم الداخلية[5]، ولم يبقى من القوات الأوربية في هذه الحملة سوى أعداد قليلة.

ولما وصل الملك لويس السابع إلى ميناء أنطالية[6], اكترى من واليها مراكب نقلته هو والبعض من جيشه إلى أنطاكية[7]، وهناك التقى مع ريموند صاحبها، ثم التحق به بقية جيشه، وقام بإعادة تنظيم صفوفه، في حين حاول ريموند زرع فكرة الهجوم على نور الدين في رأس لويس السابع لأنه يمثل الخطر الأكبر عليهم، لكن لويس السابع أمتنع عن ذلك مفضلا زيارة بيت المقدس أولا[8].

وأجتمع الصليبيين في بيت المقدس للنقاش حول مسير جيوشهم، حيث حافظ ريموند على اقتراحه بشن هجوم على حلب لتخفيض ضغط نور الدين محمود على الامارات الصليبية في الشمال، بعد أن انتزع هذا الأخير جزءا كبيرا من

---

[1]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 101.
[2]– نفس المرجع، ص 102.
[3]– محمد العروسي المطوي: نفس المرجع، ص 70.
[4]-**بيسيدي**: الجانب الغربي من ولاية قونية اليوم.المرجع السابق, هامش، ص 70.
[5]– مصطفى وهبة: المرجع السابق، ص 25.
[6]– **أنطالية**: بلد كبير من مشاهير بلاد الروم، به حصن منيع واسع وبه ميناء، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 270.
[7]– محمد العروسي المطوي: نفس المرجع، ص 70.
[8]– محمود سعيد عمران : **تاريخ الحروب الصليبية** ، دار المعرفة الجامعية ،مصر ،(د ط),2000،ص90.

أملاكهم أما مملكة بيت المقدس, فقد رأت الاستعانة بقوات الحملة في مهاجمة دمشق، على الرغم من أن معين الدين أنر حاكم دمشق كان مسالما لهم، وهو الرأي الذي انتصر في الأخير[1]، وهكذا انحرفت الحملة الصليبية الثانية على هدفها الأساسي التي أتت من أجلها، وهو القضاء على الزنكيين واسترداد شمال الشام واستعادة الرها، وجنحت نحو مساعدة مملكة بيت المقدس في محاولة ضم دمشق[2].

وسارت الحملة الصليبية على سواحل بلاد الشام، متفقين مع حكام إمارات الصليبية في المشرق على الانضمام إليهم في مهاجمة دمشق، ومن ثم السيطرة على باقي المدن الاسلامية الشامية[3]، واجتمع الصليبيون كلهم في بيت المقدس[4]، ثم سار الجيش الصليبي في(صفر 543هـ/ جوان 1148م) ، من الخليل إلى نابلس وفي يوم السبت (6 صفر 543هـ/ 24 جوان 1148م)، عسكر على حافة الحدائق والبساتين التي تحيط بدمشق[5].

لم يتوقع معين الدين أنر أن الحملة الصليبية اتخذت دمشق هدفا لها، ولما اكتشف ذلك بادر بإصدار الأوامر إلى ولاة الأقاليم يستنجدهم، كما أرسل رسولا إلى نور الدين زنكي في حلب يطلب منه النجدة[6]، أما الصليبيون فقصدوا ناحية المزة[7]، وكان عددهم حوالي 50 ألف، وبدأوا بالزحف على دمشق[8]، في (ربيع الأول 543هـ /جويلية 1148م[9])، وقاموا بحصار دمشق، في 24 من هذا الشهر مدة خمسة أيام، ولم يشترك في هذا الحصار قوات أنطاكية وطرابلس

---

[1]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 104.
[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ج1، ص 492.
[3]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 131.
[4]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 134.
[5]- أنظر الملحق رقم08.
[6]– ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2, ص 453. وحسب ابن الأثير فإن الدعوة كانت لسيف الدين غازي وهو من اصطحب معه نور الدين. أنظر أبن الأثير :المصدر السابق، ج9، ص 353.
[7]– **المزة:** هي قرية تقع في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة دمشق على سفح جبل الميزة وبامتداد نحو الغرب. ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج5, ص122.
[8]– أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 203.
[9]– ابن الأثير: نفس المصدر، ج9، ص 353.

لاختلافهم في وجهات النظر حول مسير الحملة نحو دمشق بدل مهاجمة نور الدين.

اتخذ الصليبيون في اليومين الأولين من الحصار موقف الدفاع، وقاموا بالانتشار في الحدائق والبساتين الواقعة في الجهة الغربية المسماة بالميدان الأخضر، وضاق الأمر على أهل دمشق وأيقنوا أن مدينتهم على وشك السقوط[1] غير أن معين الدين أنر لم يقف مكتوف اليدين بل أخذ يهاجم الصليبيين في معسكرهم، من ناحية الميدان الأخضر، مما جعل كونراد ولويس وبلدوين يفكرون في سحب قواتهم إلى الجهة الشرقية الخالية من الأشجار، حتى لا يجد المسلمون ستارا يحتمون خلفه أثناء مهاجمتهم معسكر الصليبي، لكن هذه الخطوة لم تكن موفقة لأن الموضع الجديد كان بعيدا عن مياه الشرب ،مما عرض الصليبيين إلى مصاعب جمة، في حين كانت الإمدادات من العساكر الإسلامية تتوافد بكثرة لنجدة دمشق[2].

وتزايدت في تلك الفترة قدوم النجدات الإسلامية كان من أهمها قوات نور الدين،وأخاه سيف الدين غازي، حيث عند وصولهما إلى حلب كتب غازي إلى معين الدين أنر قائلا: "قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلدي فأريد أن يكون نوابي بمدينة دمشق لأحضر وألقي الفرنج، فإن انهزمت دخلت أنا وعسكري البلد واحتمينا به، وإن ظفرنا فالبلد لكم لا أنازعكم فيه"[3].

ووردت الأخبار إلى المعسكر الصليبي بكثرة الحشود الاسلامية المتأهبة لمحاربتهم مما بث الخوف في نفوسهم[4]، بالإضافة إلى عمل معين الدين أنر على زرع الشقاق بين الصليبيين المستوطنين في بلاد المشرق، والوافدين الجدد بفضل ما منحه من الرشاوي والوعود بدفع الجزية، وتحريض الصليبيين المستوطنين

[1]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 104– 105.
[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ج1، ص 493.
[3]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 353.
[4]– ابن القلانسي: المصدر السابق، ج2، ص 465.

على أن يتسببوا في فشل الحصار الذي لم يمضي عليه سوى أربعة أيام[1]، كما وصلت إلى الصليبيين مراسلات تهديدية من طرف سيف الدين غازي، فاستغل أنر الفرصة وأخذ هو الآخر يهددهم بتسليم المدينة إلى سيف الدين ونور الدين إن هم هاجموها واستمروا في حصارها[2]، فوافقوا على الانسحاب مقابل حصولهم على حصن بانياس، وبهذا فشلت الحملة الصليبية الثانية[3].

ولما رحل الصليبيون عن دمشق، سار معين الدين إلى بعلبك، وهناك أرسل إلى نور الدين زنكي يطلب منه الحضور إليه، حيث اجتمعا فوصل إليهم صاحب طرابلس يطلب منهم قصد حصن العريمة[4], وأخذه من أيدي الافرنج[5]، وكان سبب ذلك أن ابن ملك روجار صاحب صقلية, خرج مع ملك ألمانيا في حملة صليبية ثانية إلى الشام واستولى على حصن العريمة، الذي كان تابع إلى امارة طرابلس الصليبية، وأظهر له أنه يريد أخذ طرابلس أيضا، وهذا ما أدى بصاحب طرابلس "القمص"، بالاستنجاد بمعين الدين ونور الدين[6] .

فسارا إليه بعساكرهما، وأرسلا إلى سيف الدين، وهو بحمص يستنجدانه فأمدهما بعسكر كثير, على رأسه الأمير عز الدين أبو بكر الدبيسي، فنزلوا الحصن، وكان به الفنش ابن روجار صاحب صقلية فتحصن به[7]، فقام معين الدين ونور الدين بنقب على سور الحصن إلى أن استسلم الفرنج وألقوا بأيديهم، فملكوا المسلمين الحصن وأخذوا كل من به من رجل وصبي وامرأة بما فيهم ابن الفنش[8]، وعاد عسكر سيف الدين إلى مخيمه بحمص، ونور الدين عاد إلى حلب ومعه الأسرى، كما رجع معين الدين إلى دمشق[9].

---

[1]– أرنست باركر: المرجع السابق، ص 76.
[2]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 132.
[3]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 71.
[4]– **حصن العريمة:** هو حصن مجاور لطرابلس، ابن القلانسي: نفس المصدر ،ج2, ص 464.
[5]– أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 209 .
[6]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 103.
[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 354.
[8]– أبو شامة: المصدر السابق ، ج1، ص ص 209 – 210.
[9]– ابن القلانسي: المصدر السابق، ج2, ص 203.

وفي هذه السنة أيضا ،هزم نور الدين محمود زنكي الصليبيين بمكان اسمه بصرى[1]، الذي اجتمع به الصليبيون، وأخذوا في إعداد جيوشهم قاصدين غزو البلاد الاسلامية[2]، حيث التقى بهم هناك واقتتلوا أشد اقتتال، وانتصر المسلمون وانهزم الفرنجة[3]، وأرسل نور الدين من الغنائم والأسرى إلى أخيه سيف الدين وإلى الخليفة العباسي ببغداد وإلى السلطان السلجوقي مسعود صاحب قونية[4].

بعد عام من معركة العريمة قرر نور الدين البدء في محاربة الصليبيين القريبين من عاصمته حلب، وخصص لهذا العمل جيشا كبيرا[5]، كما طلب من معين الدين صاحب دمشق مددا حربيا لمساعدته في هذه الغزوة، فخرج معين الدين رفقة عسكره لمساعدة نور الدين[6].

قام نور الدين بغزو بلاد الفرنج من ناحية أنطاكية قاصدا حصن حارم فحاصره ولكن لم يتمكن من فتحه[7]، كما أن نور الدين تلقى هجوما مفاجئا قام به ريموند حاكم أنطاكية على جيش نور الدين الذي كان متمركزا قرب أفامية[8] واضطر نور الدين إلى التراجع لأن ذلك الهجوم المفاجئ قد أحدث خللا في جيشه، وبعد تنظيم صفوفه عاود الكرة من جديد[9]، متوجها جنوبا إلى حصن إنب[10]، فلما سمع ريموند بخبر محاصرة نور الدين حصن إنب، نهض لنجدة الحصن في جيش صغير ومعه مجموعة من حلفائه الباطنية بزعامة علي بن وفا[11].

---

[1]– ويذكرها ابن الأثير باسم يغرى. أنظر أبن الأثير: نفس المصدر، ج9، ص 356.
[2]– أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 211.
[3]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 155.
[4]– السيد علي الحريري: نفس المرجع، ص 103.
[5]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 146.
[6]– ابن القلانسي: نفس المصدر، ج2، ص 472.
[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 362.
[8]– **أفامية:** هي مدينة حصينة على سواحل الشام تابعة لحمص. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 228.
[9]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص ص 246– 247.
[10]– **حصن إنب:** هو حصن تابع لعزاز من نواحي حلب، ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج1، ص 258.
[11]– ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2, ص 524.

وكان الباطنية يهدفون إلى الانتقام من نور الدين الدائب على متابعة أتباعهم وتصفيتهم[1]، وبهذا ارتكب ريموند خطأ كبيرا عندما شرع في الخروج لملاقاة نور الدين وليس معه سوى أربعمئة من الفرسان وألف من المشاة، في حين بلغت قوة نور الدين ستة آلاف من الفرسان[2]، وبلغ نور الدين ما أضحى عليه ريموند من الضعف، وفي(20 صفر 544هـ/ 28 جوان1149م) عسكر الجيش الصليبي في منخفض في السهل الواقع قرب إنب، وفي أثناء الليل زحفت عسكر نور الدين وطوقت الجيش الصليبي، وفي صبيحة اليوم التالي أدرك ريموند أن لا سبيل للنجاة إلا باقتحام صفوف المسلمين، ولسوء حظ ريموند هبت رياح أعمت عيون فرسانه، مما عرض جيش ريموند للدمار، حيث كان من بين القتلى ريموند و علي بن وفا زعيم الباطنية[3].

وقام نور الدين بإرسال رأس الأمير ريموند في صندوق من فضة هدية إلى الخليفة العباسي ببغداد[4]، ورأى نور الدين أن يستغل فرصة الفوضى التي سادت إمارة أنطاكية، عقب مقتل صاحبها ريموند، ليستولي على ما تبقى من تلك الامارة من معاقل وحصون[5]، فسار إلى أنطاكية فلم يكن هناك من يدافع عنها حيث بقي فيها سوى العوام مع كثرة عددهم، وحصانة بلادهم، وترددت المراسلات بينهم وبين نور الدين طالبا تسليم المدينة إليه، فطالب أهلها بمهلة لذلك، وبعد فترة من الحصار بلغه الخبر بنهوض الصليبيين من ناحية الساحل، صوب أنطاكية لإنجادها، فاقتض الحال مهادنة أهلها على أن يكون ما قرب حلب من مناطق له وما قرب أنطاكية للصليبيين[6].

---

[1]– تيسير بن موسى:نفس المرجع ، ص 147.
[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ج1، ص 497.
[3]– ستيفان رانسيمان: نفس المرجع،ج2, ص 525.
[4]– نفس المرجع،ج2, ص 525.
[5]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 106.
[6]– عبد العزيز عبد الله الحميدي: **التاريخ الإسلامي ما بعد الخلفاء الراشدين مواقف وعبر**، دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية ،مصر, (د ط)،2004، ص ص 347– 348.

كما توجه نور الدين للاستيلاء على حصن آفامية، وهو حصن على تل عالي شديد المنعة والتحصين[1]، وكان من به من الفرنجة يغيرون على أعمال حماة وشيزر وينهبونها, وسكانها لا يستطيعون الرد عليهم[2]، فسار نور الدين إليه وقام بحصاره والتضييق عليه ومنع من فيه من الفرار ليلا ونهارا،مع مواصلة مقاتلتهم دون توقف[3]، إلى أن استولى عليه في(18 ربيع الأول 544هـ الموافق لـ 26 جويلية 1149م), وقد حاول الملك الصليبي بلدوين الثالث انقاذ هذا الحصن من السقوط في قبضة المسلمين، ولكنه وصل في جيش صغير بعد أن تمكن منه نور الدين[4] وملكه وملأ ذخائره من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج إليه فلما بلغه قرب الفرنجة منه سار إليهم، وحين أدرك الفرنجة أنه جاد في لقاءهم، وأكثر استعدادا منهم في ذلك اجتمعوا فيما بينهم، واتفقوا على مصالحته على أن يحتفظ بما أخذه[5] .

بعد سقوط الرها، بقي حاكمها جوسلين الثاني مسيطرا على بعض المناطق في شمالي حلب منها تل باشر، عزاز، عين تاب[6]، وأصبح بذلك شوكة في حلق نور الدين، حيث اضطر إلى مهادنته مرارا وتكرارا ليتفرغ لبقية أعماله الحربية في الغرب والجنوب، ورضي جوسلين بهذا الوضع، حتى اتهم من قبل الصليبيين بأنه أصبح واحدا من أمراء وأتباع نور الدين.

وفي أوائل عام (545هـ / 1159م)، قرر نور الدين التخلص نهائيا من جوسلين[7]، حتى لما ورد له خبر أسر عساكر التركمان ابن جوسلين صاحب عزاز، وأصحابه وأرسلوهم إلى حلب وبقوا هناك في الأسر، فسر الناس بهذا

[1]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، 363.
[2]– أبو شامة: المصدر لسابق، ج1، ص 224.
[3] - السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 104.
[4]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 106.
[5]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 173.
[6]– **عين تاب:** قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 176.
[7]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 147.

الخبر[1]، فانتهز نور الدين الفرصة وقام بتجهيز عسكره، وتوجه به نحو عزاز فأقام عليها الحصار إلى أن تمكن من فتحها رغم حصانتها ومناعتها، وبعد قيامه بترتيب أمورها، قفل راجعا نحو حلب[2].

فلما سمع جوسلين بما حدث من هجوم نور الدين على العديد من المناطق التابعة له كعزاز وغيرها من الحصون، سارع لعقد حلف مع بعض الحكام الأتراك والأرمن المناوئين لنور الدين[3]، وسار نحوه واقتتلوا اقتتالا شديدا، حيث لقي نور الدين هزيمة كبيرة، وقتل من المسلمين وأسر جمع كبير وكان من جملة الأسرى سلاح دار[4]، نور الدين[5]، وأرسله جوسلين إلى السلطان مسعود بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب قونية، الذي كان نور الدين متزوجا بابنته فقال له: "قد أنفذت لك بسلاح صهرك، وسيأتيك بعد هذا غيره"، فتأثر نور الدين كثيرا بهذا الأمر[6]، وأخذ يعمل الحيلة على جوسلين، حيث أحضر جماعة من التركمان، واغراهم بالإقطاعات والأموال أن هم تمكنوا من قتل أو أسر جوسلين[7].

وحدث أن خرج جوسلين قاصدا أنطاكية للتشاور مع حكامها، وأثناء السير ابتعد جوسلين عن حرسه ووقع في أيدي التركمان[8]، الذين أعربوا عن استعدادهم لإطلاق سراحه فيما بعد مقابل فدية كبيرة، ولما سمع نور الدين بأسر جوسلين أرسل ثلة من الفرسان لانتزاعه من أيدي التركمان، ولما أحضر أمر نور الدين

---

[1]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 197.

[2]– أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 242.

[3]– تيسير بن موسى: نفس المرجع ، ص 147.

[4]-**سلاح دار**: لفظ فارسي معناه صانع الأسلحة ،دخل العربية في العصر الاسلامي المتأخر، ويقصد به المملوك المكلف بحمل آلات الحرب الخاصة بالملك أو السلطان. مصطفى عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق ص256.

[5]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 369.

[6]- تيسير بن موسى: نفس المرجع، ص 148

[7]- أبو شامة: نفس المصدر ، ج1، ص 245.

[8]-ستيفان رانسيمان :المرجع السابق ,ج2,ص527– 528.أما ابن الأثير فيذكر أنه خرج للصيد، فأسر من طرف التركمان، أنضر ابن الأثير :المصدر السابق، ج9، ص 369. أما أبو شامة فيذكر أن جوسلين خرج في عسكره وأغار= =على طائفة من التركمان فنهب وسبى، واستحسن من السبي امرأة منها فخلا معها تحت الشجرة فعاجله التركماني وأخذوه أسيرا.أنظر ابو شامة:المصدر السابق، ج1، ص 245.

بسمل عينه وإبقائه في الحبس بحلب، حيث ظل به إلى أن مات، بعد تسعه سنوات سنة (553هـ / 1159م)[1].

وكنتيجة لهذا الحدث ثارت ثائرة الصليبيين، فقاموا بحشد حشود عظيمة من الفرسان والرجال قاصدين إمارة جوسلين، تل باشر، ليحفظوها من السقوط في أيدي المسلمين، في حين زحف نور الدين بجنوده هو أيضا عليها سنة (547هـ / 1152م[2])، فالتقوا بدلوك[3]، حيث هزمهم نور الدين واستولى على هذه الأخيرة وغيرها من الحصون[4]، و خلف الصليبيون الكثير من القتلى[5]، وفي سنة(547هـ / 1152م)، اتجه نور الدين بجيشه إلى حصن أنطرسوس[6]، وقام بفتحه وقتل من كان فيه من الافرنج، وطالب الباقون الأمان من نور الدين فأجابهم إلى ذلك[7]، ثم رجع منه، وقام بملك عدة حصون أخرى[8].

وفي السنوات القليلة التي تلت سنة (549هـ / 1154م)، أي بعد فتح دمشق مال نور الدين إلى مهادنة القوى الصليبية القريبة منه، حتى يتمكن هو من توطيد سلطانه، كما أستغل الصليبيين هذه المهادنة أيضا ليتفرغوا لإيقاف هجمات المصريين عليهم[9]، ولذلك تقررت الموادعة بين نور الدين وبلدوين الثالث[10]، سنة (550هـ / 1155م)[11]، لمدة سنة على أن يدفع نور الدين ثمانية آلاف دينار صورية[12]، غير أن الصليبيين سرعان ما نقضوا المعاهدة بعد أن وصلهم عدد

---

[1]– ستيفان رانسيمان: المرجع السابق ، ج2، ص ص 527– 528. .
[2]– أحمد الشامي: المرجع السابق ، ص 135.
[3]– **دلوك:** بلدة تابعة لحلب. ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج2، ص 461.
[4]– أبو شامة: نفس المصدر ، ج1، ص 251.
[5]– أحمد الشامي: نفس المرجع ، ص 135.
[6]– **حصن أنطرسوس:** بلد على ساحل بحر الشام تابع لدمشق، ياقوت الحموي: نفس المصدر ، ج1، ص 270.
[7]- أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 259.
[8]- سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 240.
[9]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 115- 116.
[10]- ابن القلانسي: المصدر السابق، ج2, ص 509.
[11]- وحسب أبي شامة فإن ذلك كان سنة 551هـ / 1156م.أنظر أبي شامة: نفس المصدر،ج1، ص ص 302- 303.
[12]- **صورية**: دينار صورية، أي على أحد وجهيها صورة ملك التي تضرب في زمانه، وعلى الوجه الآخر صورة بطرس وبولس ، المصدر السابق،ج1, هامش ص 302.

كبير من الفرنجة، من أوربا قويت بهم شوكتهم[1]، فقاموا بالاعتداء على جماعة من الرعاة التركمان والعرب الفلاحين، استغلت الأمان للرعي قرب بانياس، وكان نور الدين وقت إذ مشغولا بإصلاح المدن والقلاع التي دمرتها الزلازل، فلم يكد يسمع بما حدث حتى ثارت ثائرته[2]، وخرج في جيش فوصله خبر تمكن جماعة من جنوده بقتل المفسدين وأسرهم[3] .

وفي سنة (551هـ / 1156م) ،عزم نور الدين على فتح قلعة حارم[4]، المنيعة القريبة من أنطاكية والتي كان لها أهمية كبيرة عند النصارى[5]، فسار إليها نور الدين وقام بحصارها، في حين اجتمعت الفرنج بالقرب منها، وساروا نحو نور الدين[6]، فأرسل إليهم صاحب الحصن الذي كان من الافرنج يقول لهم: "اننا نقدر على حفظ القلعة، وليس بنا ضعف فلا تخاطروا أنتم باللقاء، فإنه إن هزمكم أخذها وغيرها"[7]، ففعلوا ما أشار صاحبهم عليهم، وراسلوا نور الدين في الصلح عليه على أن يعطوه حصن حارم، فأبى أن يجيبهم إلا على مناصفة الولاية[8], فاضطروا إلى مصالحة نور الدين محمود على مناصفة دخل حارم في كل شيء[9].

وفي 13 من ربيع الأول من السنة الموالية اشتبك نصرة الدين أمير ميران أخو نور الدين مع الصليبيين، أثناء مسيرهم إلى بانياس لإمدادها بالمؤن والسلاح[10]، حيث قام بالهجوم عليهم قبل وصولهم إليها، وفي الأخير انتصر عليهم[11], وقتل من الصليبيين الكثير وأسر الباقي ولم ينجوا إلا اليسير، وحصل

---

[1]- نفس المصدر،ج1, ص 303.
[2]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 116.
[3]- ابن القلانسي: المصدر السابق،ج2, ص 512.
[4]- **حارم**: هو حصن حصين تابع لحلب. ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج2، ص 205.
[5]- عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: المرجع السابق، ص 352.
[6]- أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 298.
[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 406.
[8]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 111.
[9]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 136.
[10]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 116.
[11]- أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 311.

في أيدي المسلمين من خيولهم وسلاحهم وأموالهم الشيء الكثير، التي أرسلت فيما بعد إلى دمشق[1].

كذلك استطاع أسد الدين شيريكوه على رأس قوة من التركمان أن يهزم الصليبيين في عدة حصون ومعاقل في الشمال، ثم توجه شيريكوه بهؤلاء التركمان إلى بعلبك، واجتمع بنور الدين في(25 ربيع الأول 552هـ / 7 ماي 1157م)[2].

وعندئذ قرر مهاجمة بلاد الافرنج ابتداء بالنزول على بانياس، كما قام نور الدين في دمشق بالاستعداد وتجهيز العساكر، فخرج وتبعه الكثير من المتطوعين والفقهاء والصوفية فقام بحصار حصن بانياس، وقام بمضايقته بالمنجنيق[3]، إلى أن سقطت المدينة في يده يوم (10 ربيع الثاني 552هـ / 21 ماي 1157م)، وقام من سلم من الصليبيين بالاحتماء بالقلعة لأنهم كانوا قد عانوا من شدة الحصار الذي فرضه أسد الدين شيريكوه عليهم، مما اضطرهم إلى طلب الأمان من نور الدين عارضين عليه تسليم القلعة[4]، وتغير الموقف لما وصل ملك الافرنج بجيشه لإنقاذ صاحب حصن بانياس، وقام بقطع الطريق لمنع الواصل إلى الحصن وهذا ما أدى بنور الدين إلى تبني سياسة الاندفاع والانسحاب من بانياس، وعندما شاهد ملك الافرنج ما عم ببانياس من خراب أسوارها ومنازلها يئس من عمارتها[5].

أما نور الدين فعندما سمع بعسكرة الصليبيين في الملاحة[6]، توجه بجيشه للإغارة عليهم[7]، فلما اقترب نور الدين من الوصول إلى المعسكر الصليبي تفاجؤوا بمشاهدة راياته وعسكره، فسارعوا لتجهيز أنفسهم للقتال[8]، وانقسموا إلى

---

[1]– السيد علي الحريري: المرجع السابق ، ص 112.
[2]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق ، ص 117.
[3]– السيد علي الحريري:نفس المرجع ، ص 112.
[4]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 117.
[5]– أبو شامة: المصدر السابق ، ج1، ص 312.
[6]– **الملاحة**: هي موضع بين طبرية وبانياس، السيد علي الحريري:نفس المرجع ، ص 112.
[7]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 300.
[8]– أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص ص 312– 313.

أربعة فرق، ودخلوا في قتال عنيف مع المسلمين، فعند ذلك تدخل نور الدين بنفسه في القتال رفقة قادته حتى تمكنوا من الانتصار والقضاء على الصليبيين، حيث لم يتمكن من الفرار منهم سوى عشرة رجال، وقيل أن قائدهم كان من القتلى.

ولقد استغل الفرنج مرض نور الدين سنة (553هـ / 1158م)، وقاموا بمحاصر حصن حارم والتضييق عليه ونصب المنجنيقات ورميه بالحجارة إلى أن ملكوه، هذا ما أدى بهم إلى شن غارات على العديد من المناطق في الشام، وقاموا بالعبث والافساد في عدة مناطق أخرى[1]، مستغلين تفرق العساكر الاسلامية إثر مرض نور الدين، كما اتفق الافرنج على شن غارات على حوران[2]، منتهزين توجه نور الدين إلى دمشق عقب تعافيه كما قصدوا داريا[3]، ونزلوا بها في نفس السنة، وقاموا بإحراق العديد من المنازل[4].

وفي سنة(557هـ / 1162م)، قام نور الدين بجمع عساكره والنزول البقيعة تحت حصن الأكراد، الذي كان للفرنجة، ولقد عزم نور الدين على دخول بلاد الافرنج لمنازلة طرابلس[5]، لكنه تعرض لمكيدة على اثر هجوم مفاجئ للفرنجة على البقيعة من حصن الأكراد، و حاول المسلمون الدفاع عنه، لكن انهزموا لكثرة القتل والأسر من طرف الافرنج الذين قصدوا خيمة نور الدين، حيث قام هو بدوره بالخروج من ظهر الخيمة مسرعا، واتجه نحو حمص[6].

في حمص أرسل نور الدين إلى حلب ودمشق يأمر بإحضار الأموال والدواب والأسلحة والخيام وسائر ما يحتاج إليه الجند، وقام بتوزيع ذلك على من

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص ص 325– 326.

[2]- **حوران:** هي منطقة واسعة بها قرى ومزارع كثيرة تابعة لدمشق، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 317.

[3]– **داريا:** هي قرية كبيرة من قرى دمشق، نفس المصدر ، ج2، ص 481.

[4]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 119.

[5]– أبو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 350.

[6]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 356.

سلم من شر الافرنج في حصن الأكراد، أما من قتل فإنه قرر إقطاعه على أولاده فعاد العسكر كأنه لم يفقد منه أحد[1]، لكن هذا الكلام لا يخلو من المبالغة.

وأما الفرنجة فقد عزموا على قصد حمص، ولما بلغهم نزول نور الدين بها ظنوا أن لديه قوة معتبرة ليمنعهم عنها، وهذا ما أدى بهم إلى مراسلة نور الدين في مهادنته فلم يجبهم، فتركوا عند الحصن من يحميه وعادوا عنه ثم تفرقوا[2].

وفي هذه السنة أيضا جمع نور الدين عساكره في حلب واتجه نحو قلعة حارم التي كانت للفرنجة فقام بحصارها، والتضييق عليها، لكنها امتنعت عليه لحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم[3]، فلما سمع الصليبيون بذلك جمعوا عساكرهم هم أيضا وساروا نحوه ليرحلوه عنها، فلما اقتربوا منه طلب منهم الصلح فلم يجيبوه، مما اضطره للرجوع إلى بلاده[4].

وأعاد نور الدين الكرة عازما على إعادة فتح قلعة حارم سنة(558هـ / 1163م) حيث أخذ يستعد للجهاد، فقام بإرسال إلى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل، وإلى فخر الدين قرا، صاحب حصن كيفا[5]، وغيرهم من أصحاب الأطراف يستنجدهم[6]، فأما قطب الدين فإنه جمع عساكره وسار نحو نور الدين، وأما فخر الدين فوجد نفسه مضطرا لنجدة نور الدين لأن هذا الأخير كاتب عبادها وزهادها يصف لهم ما لقي المسلمين من الافرنج، وأما نجم الدين ألبي فجمع عساكره وسار بهم نحو نور الدين[7].

وهكذا تحرك الجيش الإسلامي في سنة(559هـ / 1164م), وقام بحصار قلعة حارم، مما اضطر الصليبيين للدفاع عنها، فقرر نور الدين فك

---

[1]- أبو شامة: نفس المصدر ، ج1، ص 351.
[2]– سهيل زكار: نفس المصدر، ج17، ص ص 356– 357.
[3]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 457.
[4]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 354.
[5]– **حصن كيفا:** هي بلدة وقرية كبيرة قريبة من نهر دجلة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 265.
[6]– ابن الأثير: نفس المصدر ، ج9، ص 467.
[7]– سهيل زكار: نفس المصدر، ج17، ص 372.

الحصار عنها والانسحاب اتجاه بلدة ارتاح، وكان هذا الانسحاب عبارة عن خدعة للصليبيين الذين ظنوا أن نور الدين خاف من جيشهم، فأسرعوا بقيادة بوهيموند أمير أنطاكية لملاحقة المسلمين، كما تظاهر المسلمون بالفرار إلى أن وصل الصليبيون إلى المكان الذي حدده نور الدين للمعركة، فلم يجد الصليبيون أنفسهم إلا محاصرين من جميع الجهات[1].

فانهال المسلمون بسيوفهم على الصليبيين، فسقطوا بين قتيل وأسير في أيدي المسلمين كما قتل بوهيموند وريموند كونت طرابلس[2]، وأشار المسلمون على نور الدين بالمسير إلى أنطاكية لفتحها لخلوها ممن يحميها، فلم يفعل وقال: "أما المدينة فأمرها سهل، وأما القلعة فمنيعة، وربما سلموها إلى ملك الروم، لأن صاحبها ابن أخيه ومجاورة بوهيموند أحب ألي بمجاورة صاحب القسطنطينية"، ويبدوا أن نور الدين خشي أن يفتحها، فيظن إمبراطور القسطنطينية أنه يريد التوجه إليه، فيفتح على نفسه جبهة قتالية جديدة هو في غنى عنها[3].

وبهذا الانتصار فتح نور الدين قلعة حارم ثم سار إلى قلعة بانياس والتي ملكها الإفرنج منذ سنة (543هـ / 1148م)، وكان على علم بقلة من فيها من حماة فنزل أهلها وضايق عليهم، ثم قاتلهم فكان في جملة عسكره[4], أخوه نصرة الدين أمير ميران[5]، فلما سمع الفرنجة اجتمعوا وقاموا بالاستعداد ليرحلوا نورالدين عن بانياس، لكن نور الدين فتحها قبل أن تكتمل عدتهم، وأخذ نور الدين في تحصين القلعة وتدعيمها، واتفق مع الفرنجة على تقسيم طبرية، وفرض الجزية على النصف الذي كان من حق الفرنجة[6].

---

[1]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص ص 159– 160.

[2]– نفس المرجع، ص 160.

[3]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 469.

[4]– ومن القصص أنه أثناء حصار بانياس أصاب سهم عين نصرة الدين أخو نور الدين، فلما رآه نور الدين قال له: " لو كشف لك على الأجر الذي أعده الله لك لتمنيت ذهاب الأخرى". السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 123.

[5]– **أمير ميران:** صفة جمع باللغة الفارسية ومعنى اللقب أمير الأمراء ، وهذا اللقب ربما يشير إلى أعلى وظائف الدولة النورية.أنظر أبو المحاسن : المصدر السابق، ج5،ص349.

[6]– عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: المرجع السابق، ص 357.

كما استهدف أيضا نور الدين حصن المنيطرة، سنة (561هـ / 1166م)، الذي كان ملكا للفرنجة لكن هذه المرة لم يحشد عساكره خداعا للصليبيين لأنه يعلم لو جمع عساكره حذروا منه واجتمعوا هم أيضا[1]، فسار إلى الحصن بثلة من جيشه وقام بحصاره وقتاله، فأخذه عنوة وقهرا، وقتل من بها وغنم غنيمة كبيرة، لكن الفرنجة لم يجتمعوا ليدافعوا عنه إلا وقد ملكه نور الدين، ولو علموا أنه في قلة من العساكر لأسرعوا إليه، وانما ظنوا أنه في جمع كثير، فلما ملكه تفرقوا ويئسوا من رده[2].

ثم واصل نور الدين عمله ضد الصليبيين، حيث قام رفقة أخيه قطب الدين بالإغارة على أراضي طرابلس في الشمال، وأخذت عساكرهم تفتح وتخرب العديد من القلاع والحصون الصليبية[3]، كان من أهمها حصن الأكراد وحصن صافيثا كما قصدا قلعة هونين[4]، التي كانت ملكا للفرنجة وقام بتخريب سورها، كما أراد الدخول إلى بيروت لكن حدث خلاف بين عساكره ألزمه الرجوع وعاد إلى حلب وقام بإقطاع الرّقة[5] لأخيه قطب الدين[6].

كما تصدى نور الدين للعديد من الإغارات الصليبية في الشام، من بينها اغارتهم على زرا من ناحية حوران وقام بهجوم مضاد عليهم، عندما بعث سرية إلى طبرية مستغلا خلوها ممن يحميها، فلما سمع الفرنجة ذلك ساروا ليمنعوها عنه، فلما وصلوا وجدوا المسلمين قد غنموها، ثم تقابل الفريقان واقتتلوا اقتتالا شديدا، حيث حاول الفرنجة أن يردوا الغنيمة من أيدي المسلمين، في مقابل ذلك كان المسلمون يمنعونهم من ذلك، ولما طال القتال عاد الفرنجة ولم يستطيعوا أن يردوا منها شيئا[7].

---

[1]– أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 03.
[2]- ابن الأثير: نفس المصدر، ج9، ص 481.
[3]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 140- 141.
[4]- **قلعة هونين**: بلدة في جبال عاملة مطلة على نواحي مصر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 420.
[5]- **الرقة**: هي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. نفس المصدر ، ج3، ص 59.
[6]- أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص ص 16- 17.
[7]- ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 10، ص 45.

وتواصل الصراع بين نور الدين زنكي والصليبيون في بلاد الشام[1] إلى أن توفي سنة(569هـ / 1173م).

[1]- أنظر الملحق رقم09.

الفصل الثاني:

حملات السلطان نور الدين زنكي لبسط

نفوذه على مصر

المبحث الأول:

حملة نور الدين الأولى على مصر

المبحث الثاني:

حملة نور الدين الثانية على مصر

المبحث الثالث:

حملة نور الدين الثالثة على مصر

المبحث الأول: حملة نور الدين الأولى على مصر

دب الضعف في الدولة الفاطمية التي أسسها عبيد الله المهدي، ووصل نفوذها في وقت من الأوقات حتى شمل بلاد المغرب ومصر والشام وأجزاء من الحجاز[1]، وبدأ عصر الضعف منذ عهد الخليفة المستنصر(427هـ - 487هـ/ 1035م- 1094م)، الذي ساءت في عهده الأحوال الاقتصادية بشكل رهيب، مما أدى إلى انتشار الاضطرابات والقلاقل[2] فقام الخليفة باستدعاء والي عكا " بدر الجمالي"، ليقلده الوزارة عسى أن يتمكن من إصلاح حال مصر، وفعلا تمكن بدر الجمالي من ذلك، فأطلق الخليفة يده في مصر وأعطاه كل السلطات، ومن هنا بدأ عهد سلب فيه الخلفاء الفاطميون كل سلطتهم[3]، وأصبحوا ألعوبة في أيدي الوزراء المتنافسين على الحكم[4], المستبدين بالسلطة[5]، ومذهب الدولة[6]، وكانوا يختارون من الفاطميين الأضعف والأصغر سنا ليكونوا أداة طيعة في أيديهم[7]، واستمر التنافس بين الوزراء على السلطة واستبدادهم بها إلى آخر عهد الخلافة، حيث يمثل الصراع بين شاور وضرغام آخر حلقة من فوضى الوزارة الفاطمية[8].

---

[1]- تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 164.

[2]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 124.

[3]- محمد جمال الدين سرور: **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، مصر، (د ط),(د س ن)،ص ص 98، 100.

[4]- أرنست باركر: المرجع السابق، ص 79.

[5]- وبدا ذلك مع بدر الجمالي وابنه الأفضل بن بدر الجمالي الذين استأثرا بالسلطة وأصبحا يسيرون البلاد كما يشاءان لدرجة إقدام الأفضل على تنصيب أبو القاسم احمد خلفا للمستنصر بدل أخوه نزار، مما ادخل البلاد في انقسام وشقاق.أنظر محمد جمال الدين سرور: نفس المرجع، ص 103.

[6]- مثل الوزير ابو علي احمد بن الأفضل الذي نقل مذهب الدولة من الاسماعيلي إلى الاثني عشر، والوزير العادل بن السلار الذي حاول فرض المذهب الشافعي السني. نفس المرجع، ص ص 108، 112.

[7]- حيث قام الوزير طلائع بن رزيك بتعيين الخليفة العاضد وهو في سن التاسعة من عمره، وعند عرضه للعامة والقيام بالتهليل له قال:" كأني بهؤلاء الجهلة، وهم يقولون ما مات الأول حتى استخلف هذا، وما علموا أني كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم". أسمت غنيم، **الدولة الأيوبية والصليبيين** ، دار المعرفة الجامعية، مصر،(د ط) 1990، ص 15.

[8]- أحمد شلبي، المرجع السابق، ج5، ص 146.

الصراع بين شاور وضرغام:

لقـــــد استطـــاع شاور الوصـــول إلى الوزارة بعـــد أن تمكن من القضـــــاء على العادل بن صالح طلائع بن رزيك[1]، ولقب نفسه بأمير الجيوش[2]، لكن شاور أساء السيرة هو وأبناءه في البلاد[3]، فاستبد بالحكم وأخذ أموال بن رزيك، وعامل الخليفة معاملة سيئة[4]، غير أن انقساما حدث داخل الجيش، فسارت فرقة منه مع شاور وأخرى مع احد قادته يدعى ضرغام بن عامر اللخمي، الذي تواطأ مع الخليفة الفاطمي ضد شاور[5]، ووقع قتال بين الفرقتين في شهر رمضان (558هـ/ أوت 1163م)، الذي انتصر فيه ضرغام، قتل خلاله بطى[6] , ولد شاور الأكبر بينما نجى ابنه الأخر شجاع الملقب بالكامل.

أما شاور فخرج من القاهرة قاصدا الشام[7]، وانتقلت بذلك الوزارة إلى ضرغام، فكان أول ما قام به هو قتل الكثير من الوزراء والأمراء المصريين لتخلوا له البلاد، لكن الدولة ضعفت بذلك حتى خرجت عن يديه[8]، وكان غرض شاور من الذهاب للشام, هو الاستنجاد بنور الدين على عدوه ضرغام بن سوار[9] .

علاقة نور الدين بالفاطميين:

لم يكن استنجاد شاور السعدي بنور الدين عام (558هـ/ 1163م)، هو أول صلة بين نور الدين والفاطميين, بل تعود إلى عهد الوزير الفاطمي ابن السلار الذي حاول

---

[1]– أوصى الصالح بن طلائع بن رزيك وهو على فراش الموت ابنه العادل أن يأخذ حذره من شاور بن مجير السعدي والي الصعيد، و ألا يفكر في عزله من منصبه، غير أن العادل لم يأخذ بوصية أبيه فقام بعزل شاور من منصبه على ولاية الصعيد، فكان ردة فعل هذا الأخير أن ثار عليه وقام بغزو القاهرة سنة(568هـ/ 1172م). ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 460.

[2]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع ، ص 126.

[3]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 73.

[4]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق ، ص 126.

[5]– محمد العروسي المطوي: نفس المرجع، ص 73.

[6]– ابن الأثير يذكره طي.أنظر أبن الأثير: المصدر السابق ، ج9، ص 460.

[7]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 118.

[8]– ابن الأثير، نفس المصدر، ج9، ص 460.

[9]– جمال الدين محمد بن سالم بن واصل،(ت697هـ)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: جمال الدين الشيال، (د د ن),(د ط),(د س ن),ج1، ص ص 137، 138.

الاتصال بنور الدين من أجل شن عمليات حربية مشتركة ضد الصليبيين[1]، حيث يقوم نور الدين بالهجوم من الشمال ويدعمهم الأسطول الفاطمي بالهجوم على المدن الساحلية الصليبية الشامية، وكان أسامة بن منقذ وسيطا بين الجانبين، غير أن نور الدين اعتذر عن ذلك لانشغاله بدمشق، وتجددت المحاولات في عهد طلائع بن رزيك[2].

ثم انتقلت العلاقات بين الطرفين إلى نوع من الدبلوماسية، حيث وردت سفارة للخليفة الفاطمي من قبل نور الدين عام (552هـ- 1157م)، و تكرر نفس الأمر في العام الموالي كما قامت الخلافة الفاطمية بإرسال دعم إلى نور الدين ,متمثلا في هدايا وأسلحة ليستعين في صراعه ضد الصليبيين، واستمرت العلاقات ودية بين الطرفين إلى غاية استنجاد شاور بنور الدين[3].

وعند وصول شاور إلى نور الدين، قام نور الدين بإكرامه والإحسان إليه، فطلب شاور من نور الدين أن يرسل معه العساكر إلى مصر، ليعيدوه إلى منصبه ووعده بأن يكون لنور الدين ثلث دخل البلاد واقطاعات لعساكره وأن يقيم شريكوه بعسكره في مصر وتكون تصرفاته بإيعاز من نور الدين، فتردد نور الدين في القبول وقام بعدة مشاورات وكان سبب تخوفه أخطار الطريق التي من الممكن ان يواجهها وعدم ثقته في شاور، إلا انه عاد وقبل في الأخير[4]، وقام بإرسال قائده أسد الدين شريكوه في حملة على مصر[5].

أسباب قبول نور الدين عرض شاور:

تعددت وتنوعت الأسباب التي دفعت نو الدين لقبول عرض شاور, فكـــان يهـــدف لإتمام مشروعه الوحدوي بضم مصر إلى بلاد الشام[6], والإفادة من ثراء مصر المتمثل

---

[1]- محمد مؤنس احمد عوض: المرجع السابق، ص 82.

[2]- نفسه المرجع ، ص 83.

[3]- المرجع السابق، ص ص 83- 84.

[4]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 465.

[5]- ابو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 354.

[6]- مسفر بن سالم عريج الغامدي: **الجهاد ضد الصليبين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (491-569هـ)(1097-1173م)**, درا المطبوعات الحديثة, المملكة العربية السعودية, ط1، 1986, ص-ص 299-300.

في سهل النيل وكثافته السكانية المرتفعة نسبيا, ورغبته في الهيمنة على خطوط التجارة العالمية المارة بمصر[1], هذا كله بالإضافة إلى حث الخليفة العباسي لنور الدين على التدخل في مصر[2], وهذا بسبب العامل المذهبي، حيث كان الخليفة العباسي ونور الدين يرمون إلى القضاء على المذهب الشيعي وخلافته في مصر, ونشر المذهب السني[3].

من زاوية أخرى أدرك نور الدين أن الهجوم هو أحسن وسيلة للدفاع, وأنه لكي يؤمن المكاسب السياسية والعسكرية التي حققها من خطر الصليبيين, لابد له من ضم مصر[4] لأنه إذا نجح في ذلك, أحاط المسلمون بالإمارات الصليبية من الجهات الثلاثة من البر وسوف يتولى الأسطول الاسلامي من الجهة الرابعة من البحر، وبذلك يسهل طردهم من الأراضي المقدسة في الشام[5].

كما شعر نور الدين بطمع الصليبين في الاستيلاء على مصر[6], خصوصا بعد قيام عموري الأول بحملة على مصر متذرعا بأن الدولة الفاطمية لا تدفع الجزية التي عهدها أخاه بلدوين الثالث, غير أن حملته باءت بالفشل[7], ويجب الإشارة هنا أن أطماع الصليبيين في مصر كانت متساوية لأطماع نور الدين, إلى جانب الأطماع الاقتصادية والإستراتيجية كانوا يهدفون إلى التخلص من مصيدة نور الدين ومحاولة تضييق الخناق عليهم[8].

---

[1]– محمد مؤنس أحمد عوض: المرجع السابق , ص77.

[2]– عبد المنعم ماجد: **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية (التاريخ السياسي 567-648هـ/1161-1250م)**, درا الفكر العربي, مصر, ط2, 1999ص78.

[3]– أرنست باركر, المرجع السابق, ص79.

[4]– محمد مؤنس أحمد عوض, نفس المرجع , ص80.

[5]– أحمد الشامي, المرجع السابق, ص138.

[6]– عبد المنعم ماجد, المرجع السابق, ص78.

[7]– محمود محمد الحويري, المرجع السابق, ص–ص 128–129.

[8]– أرنست باركر: المرجع السابق, ص79.

مسير الحملة إلى مصر:

عهد نور الدين محمود إلى القائد أسد الدين شريكوه أمر الحملة إلى مصر, فخرج شريكوه إلى مصر سنة (559هـ /1164 م) ومعه شاور[1], وكان أسد الدين شريكوه قد أصطحب ابن أخيه صلاح الدين في هذه الرحلة, وجعله في مقدمة عسكره وصاحب رايته، وكان لا يتخذ قرارا إلا بمشورته [2]، كما صاحب نور الدين الحملة في بدايتها قاصدا بلاد الفرنجة ليشغلهم عن التعرض لأسد الدين شريكوه[3]، ثم فارقه وتوجه شريكوه إلى الديار المصرية مارا بعقبة آيلة[4], ثم إلى الصدر[5], وإلى السويس ثم إلى باب القاهرة[6].

ولما وصل الخبر إلى ضرغام عن الاستعدادات التي تجري في دمشق لتجهيز حملة لمساعدة شاور أصابه الفزع, وبادر باستنجاد الصليبيين أعداء نور الدين، وتعهد بدفع جزية التي يقررها الملك عموري الأول فوق ذلك وافق على أن تصير مصر تابعة للصليبيين وخضوعهم التام لهم[7]، أما العوام في مصر فالتزموا مساكنهم خشية على أموالهم وأنفسهم[8], في حين خرج ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين للملاقاة أسد الدين , لكنه انهزم[9]، وامتلاك أسد الدين شريكوه وشاور جميع ما كان من عساكره كما أسروا العديد منهم, وفي نفس الوقت عمل ضرغام على جمع الناس داخل القاهرة

---

[1]– أسامة حسن: الناصر صلاح الدين, دار الأمل, مصر, ط1,1997, ص20.

[2]– حمزة النشرتي آخرون: **السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين وصاحب موقعة حطين**,(د د ن),مصر,(د ط), (د س ن), ص80.

[3]– إبن واصل, المصدر السابق, ج1, ص138.

[4]– **عقبة آيلة:** مدينة على ساحل بحر القلزم, في الحدود بين الشام والحجاز. ياقوت الحموي: المصدر السابق, ج1, ص252.

[5]– **صدر:** قلعة خراب بين القاهرة وآيلة, نفس المصدر, ج3 ص397.

[6]– إبن واصل: المصدر السابق, ج1, ص138.

[7]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص132.

[8]– السيد علي الحريري: المرجع السابق, ص119.

[9]– ابن الأثير, المصدر السابق, ج9, ص468.

وخرج بعسكره لملاقاة أسد الدين شريكوه في منطقة المقس[1]، لكنه انهزم هزيمة فضيعة[2].

وتخلى عنه جميع أعوانه, ولم يبق معه إلا حرسه الخاص[3]، فسار إلى بركة الحبش[4] في حين ملك أسد الدين مدينة مصر القديمة و أقام فيها أيام، وفي نفس الوقت عمل ضرغام على اخذ أموال اليتامى المودعة عند الحاكم فكرهه الناس، ومالوا إلى شاور، فقام ضرغام بتهديدهم، مما وسع الشقاق بينه وبين العامة، وما زاد من ضعف موقفه مطاردة أسد الدين شريكوه لرجاله، فكانت ردة فعله أن قام بتخريب العديد من المناطق في القاهرة، وفقد أثناء ذلك كثيرا من قواته المتبقية معه، مما أدى بهم إلى الاتصال بشاور ليكون معهم، فبقي ضرغام لوحده[5]، فعمل الناس على مطاردته إلى أن أدركوه وقتلوه عند مشهد السيدة نفيسة

بنت الحسن ابن زيد بن حسن بن علي رضوان الله عليه، وبقي مطروحا يومين ثم دفن بعد ذلك، وقتل أخوه ناصر الدين أيضا[6]، وبموت ضرغام تمكن شاور من الوزارة في مستهل (رجب 559هـ/ ماي 1146م)[7].

ولكنه لم يكد ينجح في التخلص من منافسه ضرغام، ويطمئن في عرشه حتى تنكر لكل وعوده، فقد رفض أن يدفع لشريكوه المبلغ المتفق عليه وطلب منه الخروج من مصر[8]، فجن جنون أسد الدين من هذا التصرف ورد على شاور بأنه عازم على البقاء في

---

[1]- **المقس:** هو مكان بين القاهرة والنيل, كان يسمى قبل الإسلام بأم دنين. ياقوت الحموي: نفس المصدر, ج5ص175.

[2]- السيد علي الحريري: نفس المرجع, ص120.

[3]- محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 132.

[4]- **بركة الحبش:** هي ارض واسعة وطولها نحو ميل مشرفة على نيل مصر، ياقوت الحموي: نفس المصدر ، ج1، ص 401.

[5]- السيد علي الحريري، نفس المرجع، ص –ص 119، 120.

[6]- أبن واصل، المصدر السابق، ج1، ص 139.

[7]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 466.

[8]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 132.

مصر مهما حدث[1]، واتخذ أسد الدين إقليم الشرقية معسكرا لجنوده، وتحصن به وأصبح تحت سيطرته وحكمه[2]، كما أرسل إلى نور الدين يخبره بما جرى، في حين قام شاور بالاستنجاد بالصليبيين[3]، ويخوفهم من نور الدين إن ملك مصر، وكان الفرنج أيقنوا الهلاك أن ملك نور الدين مصر[4]، فسارعوا لمساعدة شاور بعد أن التزم بالتكفل بنفقات هذه الحملة، فقدم لهم ألف دينار عن كل مرحلة من مراحل الطريق من القدس إلى النيل، وعددها سبعة وعشرون مرحلة[5].

وفي هذا الحين استولى أسد الدين على بلبيس[6]، ولما بلغ نور الدين خبر تجهز الصليبيين للمسير نحو مصر، خرج بعسكره وأغار على بلادهم بهدف منعهم من المسير إلى مصر، فلم يمتنعوا لإدراكهم أن امتلاك أسد الدين مصر اشد خطرا من حملة نور الدين عليهم، فتركوا في بلادهم بعض الحاميات لحمايتها، كما انظم إليهم بعض الفرنجة القادمين في زيارة إلى بيت المقدس[7]، وعند وصول عموري إلى مصر أنظمت إليه جيوش شاور وفرضوا حصارا على أسد الدين شريكوه الممتنع والمتحصن بمدينة بلبيس، ودام الحصار قرابة ثلاثة أشهر[8]، فبالرغم من ضعف تحصينات المدينة فقد كان سورها من الطين وقصير جدا، وليس له خندق يحميها، واشتد القتال بين الطرفين طوال هذه المدة[9]، إلى أن بلغ إلى مسامع الفرنجة أن نور الدين تمكن من السيطرة على قلعة حارم وبانياس، ومهاجمة طبرية وغيرها[10]، حينئذ اضطر الفرنجة إلى العودة إلى بلادهم

---

[1]– أمين معلوف: المرجع السابق، ص 207.

[2]– احمد الشامي: المرجع السابق، ص 141.

[3]– أبو المحاسن: المصدر السابق، ج5، ص 331.

[4]– السيد علي الحريري: نفس المرجع، ص 121.

[5]– محمد مؤنس احمد عوض: المرجع السابق، ص 91.

[6]– **بلبيس:** هي مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 479.

[7]– ابو شامة: المصدر السابق، ج1، ص 359.

[8]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 466.

[9]– ابو شامة: نفس المصدر، ج1، ص 359.

[10]– احمد الشامي: المرجع السابق، ص 141.

ليحفظوها، فراسلوا أسد الدين شريكوه في الصلح والعودة إلى الشام ومفارقة مصر، وتسليم ما بيده فيها إلى المصريين فأجابهم إلى ذلك، لأنه لا يعلم ما فعله نور الدين في الشام، وخرج شريكوه من بلبيس[1]، قاصدا الشام، وأثناء مسيره كمنت له القوات الصليبية في الطريق للقضاء عليه لكنه تمكن من الإفلات، ودخل سالما إلى دمشق في(18 ذي الحجة 559هـ، 26 أكتوبر 1164م)[2].

وللإشارة هنا فان حملة نور الدين الأولى على مصر قد خسرت جولة من الصراع الدائر بينه وبين القوات الصليبية في مصر، إذ يكفي أن الصليبيين أرغموا شريكوه على الانسحاب من ارض مصر، والتخلي على المواقع التي استولى عليها[3]، وان نقص الإمدادات والقوات عند شريكوه وغلبة الجند الصليبي والفاطمي على جنوده, جعله مضطرا لقبول هذا العرض[4]، وعلى اثر هذا الانسحاب أصبح للصليبيين قدر كبير من النفوذ المادي والمعنوي عند شاور، والدولة الفاطمية لأنهم هم الذين ناصروه، وهم الذين أرغموا شريكوه على الانسحاب، ولكن على الرغم من أن حملة نور الدين الأولى لم تحقق أهدافها في مصر فان المحصلة النهائية هي أن أملاك نور الدين قد تدعمت في الشام، وارتفع شانه في العالم الاسلامي بينما تراجعت أملاك الصليبيين على الساحل واستبد اليأس بهم[5]، كما حقق الجيش النوري بعض المكاسب كان من أهمها, استطلاعه لأوضاع مصر السياسية والعسكرية والأهم من ذلك الاقتصادية, كما انه درس المواقع التي مر بها،

---

[1]– ويذكر ابن الأثير: انه عند خروج أسد الدين من بلبيس بقي في آخر صفوف جنوده يحمل في يده فأسا، والمسلمون والفرنجة ينظرون إليه فاتاه فرنجي من الغرباء فقال له:" أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المسلمون وقد أحاطوا بك وبأصحابك فلا يبقى معهم بقية"، فقال شريكوه:" يا ليتهم فعلوا حتى كنت ترى ما لا ترى مثله، كنت والله أضع سيفي فلا اقتل حتى اقتل رجالا ، وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين ،وقد ضعفوا فنملك البلاد...". أنظر أبن الأثير :نفس المصدر ، ص ص 466، 467.

[2]– محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص111.

[3]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 135.

[4]– احمد الشامي : المرجع السابق، ص 142.

[5]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 136.

والتي سيتكرر الصراع حولها[1]، كما برهن الجيش النوري على قدرته في التغيير السياسي في مصر الفاطمية ويتضح ذلك عندما نصب شاور وزيرا للخليفة الفاطمي[2]، كما وقف أسد الدين شريكوه على المدى الذي بلغته الدولة الفاطمية من ضعف، وفي المقابل من ذلك على ما تتمتع به مصر من ثروة بشرية تجعل من يستحوذ عليها صاحب الكفة الراجحة في ميزان القوى في بلاد الشام، ومن هنا نلاحظ أن شريكوه منذ أن غادر مصر، ظل يحدث نفسه بالعودة إليها، ومما زاد في رغبته حقده على شاور بعد أن غدر به ، يضاف إلى ذلك أن الخلافة العباسية حرصت آنذاك على تشجيع كل محاولة من شانها أن تقضي على الخلافة الفاطمية في مصر[3].

أما في مصر فقد حرص شاور على إبعاد الخطر النوري على البلاد بأي ثمن، ونرى ذلك عند اتفاقه مع شريكوه، حيث سلمه ثلاثين ألف دينار مقابل انسحاب قوات شريكوه من مصر[4]، كما انتهز شاور فرصة خروج أسد الدين شريكوه وعموري الأول من مصر ورجع إلى عادته ليظلم ويقتل ويصادر أموال الناس، بحيث لم يبق للخليفة الفاطمي العاضد معه أمر ولا نهي[5].

[1]– محمد مؤنس احمد عوض: المرجع السابق، ص 93.

[2]– نفس المرجع، ص 93.

[3]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع ، ص 93.

[4]– محمد مؤنس احمد عوض: نفس المرجع، ص 92.

[5]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 136.

المبحث الثاني : حملة نور الدين الثانية على مصر:

لم ينته السباق على امتلاك مصر بين الطرفين عند انتهاء الحملة الأولى، بل استمرت طموحات كل طرف في ذلك، لأن الفوز في مصر يعني الانتصار الحاسم للظافر بها على خصمه[1]، فبعد خروج أسد الدين شريكوه من بلبيس شارك في عدة غزوات ضد الصليبيين وكان من وقت لآخر يحث نور الدين على القيام بحملة على مصر ويلح عليه في ذلك ويهون من أمرها عند نور الدين[2].

وعلى الرغم من توفر العوامل المساعدة على تسيير حملة جديدة إلى مصر، فإن نور الدين محمود كان كارها لذلك، خوفا من حادث يتجدد على المسلمين فيضعف الإسلام[3] وتفرق قواته، في الوقت الذي كثرت فيه اشتباكات بينه وبين الإمارات الصليبية القريبة منه غير أن طموح نور الدين لاستكمال مشروعه الوحدوي[4]، واستمرار إلحاح أسد الدين شريكوه عليه في ذلك[5]، وأخيرا استنجاد الخليفة الفاطمي العاضد بنور الدين بسبب استئثار شاور بكل السلطات وتغلبه عليه دفع نور الدين لتجهيز حملة جديدة على مصر[6].

عهد نور الدين أمر هذه الحملة إلى أسد الدين شريكوه، فقام هذا الأخير باختيار أفضل عناصر لجيشه، كما رافقه ابن أخيه صلاح الدين في ذلك, تحركت الحملة في ألفي فارس يوم(09 ربيع الثاني 562هـ/ 01 فيفري 1167م)من دمشق[7].

---

[1]– محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص 111.

[2]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 74.

[3]– مسفر بن سالم عريج الغامدي: المرجع السابق، ص 303.

[4]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 142.

[5]– حيث ابرز ما قال في وصف حالة مصر والدافع إلى فتحها ما يلي:" إن مصر كانت بلاد بلا رجال وحكومة مزعزعة جديرة بالازدراء، وان ثراءها وعدم وجود الدفاع فيها يجلب لها الأعداء". فاروق سعد ابو جابر: **صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس**، مطبعة الأهرام، مصر، ط1، 1995م، ص 92.

[6]– ابو المحاسن: المصدر السابق، ج5، ص 331.

[7]– ابو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 07.

وسار نور الدين محمود في قوات أخرى خلفهم ليحمي ظهرهم، حتى وصلت الحملة أطراف الشام[1]، ثم اتخذ أسد الدين شريكوه طريق الصحراء عبر وادي الغزلان،كي يتجنب المواجهة مع الفرنجة, لكن واجه في الطريق عاصفة رملية مدمرة كادت تودي بجيشه[2] غير أنه تمكن من الوصول إلى الديار المصرية

فقصد أطفيح[3]، وعبر النيل عندها من الجانب الغربي فنزل بالجيزة وعسكر فيها مقابل الفسطاط بمصر القديمة[4]،حتى تتضح له نوايا شاور[5].

أما شاور فلما بلغه مجيء أسد الدين شريكوه ،كان قد راسل الفرنجة يستغيث بهم ويستصرخهم[6]، وكان عموري وقتئذ في نابلس، فدعى الصليبين إلى اجتماع وعرض عليهم الحالة في مصر والخطر المنجر إذا سقطت في يد نور الدين, فوافقوه على تسيير حملة لمساعدة المصريين تشترك فيه كل قوات الصليبية, وكل من لم يشترك التزم بدفع عشر دخله لدعم الحملة[7]، إلا أن الفرنجة لم يستكملوا إستعدادتهم الكاملة وسارعوا نحو مصر بعد سماعهم بتحرك شريكوه نحوها[8]، وعهد عموري بحكم بيت المقدس إلى بوهيموند الثالث صاحب أنطاكية, ووضعت تحت تصرفه قوات لا بأس بها خشية أن يقوم نور الدين بهجوم على الممتلكات الصليبية[9].

---

[1]– أحمد الشامي: نفس المرجع, ص143.

[2]– فاروق سعد أبو جابر: المرجع السابق, ص92.

[3]– **أطفيح:** قرية من قرى مدرية الجيزة, كانت تسمى في العهد اليوناني "أفرو ديتو بوليس", أبن واصل: المصدر السابق, ج1, هامش ص149.

[4]– ابن الأثير: المصدر السابق, ج10, ص3.

[5]– أحمد الشامي: المرجع السابق, ص142.

[6]– أبو شامة: المصدر السابق , ج2, ص7.

[7]– ستيفان رانسيمان: المرجع السابق, ج2, ص ص 601-602.

[8]– فاروق سعد أبو جابر: نفس المرجع, ص92.

[9]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص173.

عند وصول عموري إلى مصر التقى مع شاور وعقد اتفاقية معا[1]، تقضي بأن تدفع مصر للمملكة بيت المقدس مائتي ألف دينار مقدما ومثلها في ما بعد بشرط ألا يرحل عموري عن مصر، إلا بعد جلاء قوات أسد الدين شريكوه عنها[2], وأرسل عموري كل من "هيو" صاحب القيصرية الذي يتكلم باللغة العربية "وجود فري" وهو أحد الفرسان إلى الخليفة الفاطمي لإعطاء الإتفاقية صفة رسمية[3]، وقد أصابت المبعوثين الدهشة مما شاهداه في قصر الخلافة الفاطمي[4]، وبعد لقائهما وإتمام إتفاقهما أراد "هيو" أن يصافح يد الخليفة ففزع رجال البلاط لذلك، وأخبروه بأنه من المستحيل إجابة طلبه, ولكن الخليفة ابتسم ساخرا وخلع قفازه وصافح "هيو", ثم إنسحب السفيران وقد هالهما الثروة التي تتمتع بها الخلافة الفاطمية[5].

أما على الجبهة الحربية فقد تمكن شريكوه من السيطرة على المناطق الغربية[6], في حين كان عموري في الجهة الشرقية, وظل الجيشان قرابة الشهر يراقب أحدهما الآخر دون تمكنهما من العبور نحو الضفة المقابلة[7]، وقد حاول عموري أن يبني جسرا من القوارب عبر النيل ليعبر الضفة الغربية, لكن وجود شريكوه على هذه الجهة أفسد تلك الخطة وهذا ما أدى به إلى الالتجاء إلى خطة أخرى, فوجد جزيرة وسط النهر فنقل جيشه إلى هناك ليلا ثم إلى الجهة الثانية من النهر في السفن, وإكتشف شريكوه تلك الحركة متأخرا, مما اضطره لتراجع نحو مصر العليا[8]، ملتزما نهر النيل في خط سيره بعد أن تبين له تفوق جيش الفرنجة والمصريين في العدد, فعمل شاور وعموري على ملاحقته

---

[1]– ستيفان رانسيمان: نفس المرجع, ج2, ص602.

[2]– محمود سعيد عمران: المرجع السابق, ص112.

[3]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص137.

[4]– فأول ما أمر به في طريقيهما صفوف من الأعمدة والنفورات, والحدائق التي تحتوي على الحيوانات والطيور الضارية, وانتقل من قاعة وكلها مزينة بستائر الحرير والذهب ومرصعة بالجواهر حتى انفتحت أمامهما ستار كبيرة مزركشة بالذهب, برز بعدها لهما الخليفة جالسا على سرير الملك مصنوع من الذهب. ستيفان رانسيمان: المرجع السابق , ج2, ص603.

[5]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع, ص138.

[6]– محمد مؤنس أحمد عوض: المرجع السابق, ص94.

[7]– ستيفان رانسيمان:نفس المرجع, ج2, ص604.

[8]– فاروق سعد أبو جابر: المرجع السابق, ص94.

مع تركهما حامية عسكرية قوية في القاهرة بقيادة "كامل بن شاور" و "هيو" على أن دخول قوات "هيو" للقاهرة والسماح للقادة بالتردد على القصر أثار سخط الدوائر الإسلامية بها[1].

وعزم شريكوه على قتال المصريين والفرنجين، إلا انه خاف من أصحابه أن تضعف نفوسهم على القتال في هذا المقام الخطر نتيجة قلة عددهم وبعدهم عن أوطانهم وبلادهم وهذا ما أدى به إلى استشارتهم[2]، فكلهم أشاروا إليه بعبور النيل نحو الضفة الشرقية والعودة إلى الشام حيث قالوا له:" إن نحن انهزمنا, وهو الذي لا شك فيه فإلى أين نلتجئ وبمن نحتمي وكل من في هذه الديار عدو لنا, ويودون لو شربوا دمائنا"[3]، فقام أمير من مماليك نور الدين يسمى "شرف الدين برغش" وقال:" من يخاف القتل والأسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امرأته, والله لأن عدنا إلى نور الدين من غير غلبة وبلاء نعذر فيه ليأخذن أموالنا وما معنا من إقطاع" فأعجب هذا الرأي أسد الدين أخذ به, وكثر الموافقون واجتمعت الكلمة على القتال[4].

وبعد إجماع قوات شريكوه على القتال فقاموا بموقع يسمى البابين[5]، حتى أدركهم المصريون والفرنجة[6]، واستعد الطرفين للمواجهة, حيث قام الفرنجة والمصريون بترتيب عساكرهم, فجعل الفرنجة على الميمنة وعسكر المصريون في الميسرة, وأتخذ عموري القلب[7]، أما شريكوه رتب جيشه بجعل المؤن والعتاد بالقلب ليتكثر بها, ولأنه لم يمكنه أن يتركها في مكان أخر فينهبها أهل البلاد[8]، كما جعل صلاح الدين ابن أخيه

---

[1]- ستيفان رانسيمان: نفس المرجع, ج2, ص604.

[2]- ابن الأثير: المصدر السابق, ج10, ص4.

[3]- أبو شامة: المصدر السابق,ج2, ص8.

[4]- ابن واصل: المصدر السابق, ج1, ص150.

[5]- **البابين:** هي قرية تقع جنوب مدينة المنية. أبن واصل: نفس المصدر, ج1, هامش ص150.

[6]- ابن الأثير: نفس المصدر, ج10, ص4.

[7]- أبو المحاسن: المصدر السابق, ج5, ص332.

[8]- أبو شامة: نفس المصدر, ج2, ص8.

في القلب[1]، لعلمه أن هجمات الصليبين والمصريين ستتركز عليه لظنهم أن شريكوه فيه[2].

واتفق مع صلاح الدين بأن يتظاهر بالتقهقر أمام الصليبين, وأتخذ شريكوه الميمنة مع جماعة يثق فيهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم[3]، وعند بداية المعركة حدث ما توقعه شريكوه حيث ركز عموري هجومه على قلب جيش شريكوه, ونفذ صلاح الدين الخطة المتفق عليها فقام بالتراجع بقلب الجيش إلى الخلف وطاردته قوات الفرنجة[4]،وفي هذه الأثناء تقدم شريكوه وقام بضرب الجناح الأيسر للجيش الفرنج والمصري وحطمه[5]، أما الجيش المطارد لصلاح الدين فانشغلوا بنهب الأثقال التي كانت معه, فكّر عليهم صلاح الدين وشتت جمعهم[6]، وبذلك وقع الصليبون في حصار تام فأكثر أسد الدين شريكوه وصلاح الدين القتل والأسرى فيهم[7]، فلقي الصليبون بذلك هزيمة نكراء، وكان ذلك في يوم (25جمادى الثاني562هـ/ 18 مارس 1167م)[8], وانسحبوا مع حليفهم شاور إلى القاهرة[9].

- إمتلاك أسد الدين شريكوه للإسكندرية:

كان من الممكن أن ينجح أسد الدين شريكوه في إمتلاك القاهرة لو أنه تعقب عموري وجيشه بعد الهزيمة مباشرة، ولكنه أخذ يسير ببطء على الضفة الغربية للنيل حتى وصل إلى الإسكندرية[10]، ففتحت له المدينة الكبيرة أبوابها نظرا لما تكنه من

---

[1]- وحسب أبو المحاسن: فأن شريكوه هو من تولى قيادة قلب الجيش, وجعل صلاح الدين في الميمنة.أنظر أبو المحاسن: نفس المصدر ، ج5, ص332.

[2]- ابن الأثير: نفس المصدر, ج10, ص4.

[3]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص139.

[4]- السيد علي الحريري: المرجع السابق, ص126.

[5]- ستيفان رانسيمان: المرجع السابق, ج2, ص605.

[6]- أبو المحاسن: المصدر السابق , ج5, ص332.

[7]- ابن الأثير: المصدر السابق, ج10, ص4.

[8]- أنظر الملحق رقم 10.

[9]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص139.

[10]- أحمد الشامي: المرجع السبق, ص144.

الكراهية لشاور فقام أسد الدين شريكوه بإستنابة صلاح الدين ابن أخيه على الإسكندرية, وتوجه هو إلى الصعيد وامتلاكها وجبا أموالها.[1]

أما الفرنجة والمصريون فبعد عودتهم من القاهرة قاموا بتنظيم صفوفهم, كما تلقوا إمدادات من بيت المقدس وتوجهوا إلى الإسكندرية وضربوا عليها حصارا، كما أقلعت سفن الفرنج وتم الحصار من الناحية البحرية[2]، واشتد الحصار وقل بذلك الطعام داخل الإسكندرية, فساء موقف صلاح الدين وأهل الإسكندرية[3]، فأرسل إلى عمه شريكوه يطلب منه النجدة العاجلة[4]، فما كان من الأخير إلا أن ترك الصعيد وعاد على وجه السرعة إلى الإسكندرية[5], وتبعه الكثير من العربان وأهلي الصعيد, الأمر الذي أجبر شاور إلى الرجوع إلى القاهرة ومراسلة أسد الدين طلبا للصلح[6]، وقام بإغراء قادة شريكوه بالأموال, واستقر الصلح بين الطرفين[7]، نتيجة لتظافر عدة عوامل:

فشريكوه تفرقت عساكره بين الشامل والجنوب, وشدة الحصار الذي ضرب على قواته في الإسكندرية قرابة أربعة أشهر, أما الصليبيون فما زالوا يعانون من أثار هزيمة البابين[8]، بالإضافة إلى التحركات التي قام بها نور الدين على أملاك الصليبين في الشام وكبدهم خسائر فادحة, محاولة منه لتخفيض الضغط الصليبي على مصر[9]،

وكان الصلح كما يلي:

---

[1]– أبو شامة: المصدر السابق, ج2, ص9.

[2]– ستيفان رانسيمان: نفس المرجع, ج2, ص606.

[3]– وحسب ستيفان رانسيمان فإنه شريكوه كان داخل المدينة أثناء الحصار وتسلل منها وترك صلاح الدين داخلها مجتازا معسكر الصليبين، واتجه نحو الصعيد، فغضب عموري وأراد اللحاق به غير أن شاور نصحه بان يترك وشريكوه وشأنه. أنظر ستيفان رانسيمان : نفس المرجع ،ج2 ، ص606 .

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق, ج1, ص538.

[5]– مسفر بن سالم عريج الغامدي: المرجع السابق, ص306.

[6]– وحسب ستيفان رانسيمان فإنه شريكوه هو من أرسل في طلب لصلح, حيث بعث أحد الأسر عنده هو "أرنولف" سيد تل باشر بعد أن رفض "هيو" سيد القيصرية القيام بهذه الحملة. أنظر ستيفن رانسيمان : المرجع السابق، ج2, ص606.

[7]– أبو شامة: المصدر السابق, ج2, ص9.

[8]– مسفر بن سالم عريج الغامدي: نفس المرجع306.

[9]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص140.

- أن يرفع الصليبون الحصار عن الإسكندرية وتعاد إلى الفاطميين.

- أن يدفع شاور إلى أسد الدين شريكوه مبلغ خمسين ألف دينار، مضافة إلى ما أخذه من البلاد الذي استولى عليه.

- أن لا يقيم الصليبون في البلاد المصرية وألا يتملكوا فيها قرية واحدة[1].

وبعد الموافقة على شرط الصلح عاد أسد الدين إلى الشام ودخل دمشق في(12 ذو القعدة 562هـ /29 أوت 1167م)[2].

غير أن الصليبين لم يخرجوا من مصر إلا بعد أن عقدوا اتفاقية أخرى مع شاور تقضي بترك حاميات لهم على أبواب القاهرة, كما اتفقوا على أن يكون للصليبيين مائة ألف دينار يدفعها لهم شاور كل سنة[3]، وشحنة تساعد المصريين على تسيير شؤونهم[4].

فلم يكد شاور يدخل مدينة الإسكندرية، حتى قرر إلقاء القبض على كل من جرى الاشتباه فيه انه تعاون مع صلاح الدين, ولما سمع صلاح الدين ما وقع لأهل الإسكندرية رفع شكوى إلى عموري, وهذا ما أدى بعموري الأول إصدار قرار إلى شاور بأن يطلق سراح الأسرى[5].

إن السياسة التي اتبعها شاور اتجاه أهل مصر وخضوعه التام للصليبين لم تعجب الناس, حتى أن ابنه "الكامل شجاع"، راسل نور الدين عن طريق شهاب الدين محمود الحارمة أحد أمراء نور الدين وخال صلاح الدين الأيوبي, يعلن ولائه ويطلب منه التدخل

[1]- مسفر بن سالم عريج الغامدي: نفس المرجع, ص306.

[2]- ابن الأثير: المصدر السابق, ج10, ص4.

[3]- محمد مؤنس أحمد عوض: المرجع السابق, ص96.

[4]- أبو المحاسن: المصدر السابق, ج5, ص333.

[5]- ستيفان رانسيمان: المرجع السابق, ج2, ص607.

للإصلاح الأحوال في مصر، وتعهد له بدفع مقدار من المال كل سنة, وربما يكـــون هـــذا مناورة من شاور حتى يضمن حماية الطرفين المتنازعين حول الاستيلاء على مصر[1].

[1]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق, ص140.

المبحث الثالث: حملة نور الدين الثالثة على مصر وبسط نفوذه عليها نهائيا

لم يكن أسد الدين شريكوه السباق إلى دخول مصر في هذه الحملة كما حدث في المرتين السابقتين، وإنما كانت الحامية الصليبية التي أبقاها عموري في مصر هي السبب في دفع القوات الصليبية إلى المجيء إلى مصر لامتلاكها[1]، فقد اطلعوا على عورات مصر وخيراتها فطمعوا فيها[2]، وأرسلوا إلى ملكهم عموري الأول يستدعونه للاستيلاء عليها[3] كما أعلموه بخلوها من الموانع وهونوا أمرها عليه[4]، كما أن هناك فئة من أعيان المصريين[5] ممن كانوا يعادون شاور، راسلوا عموري يطلبون منه القدوم إلى مصر[6]، فلم يجبهم إلى ذلك حتى عقد اجتماعا لفرسان الفرنجة وأعيانهم وأشاروا عليه بإخراج حملة نحو مصر[7] فأجابهم قائلا:" الرأي أن لا نقصدها، فإنها طعمة لنا، وأموالها تساق إلينا، نتقوى بها على نور الدين، وإن نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكرها وعامة بلاده لن يسلموا إلينا..."[8].

إلا أن عموري ما لبث أن غير رأيه بعد تزايد الإلحاح عليه من القادة الصليبيين[9]، لكن عموري في هذه المرة غير إستراتيجيته في الهجوم على مصر، حيث بعث يطلب الإعانة من الإمبراطور البيزنطي،" كومنين مانويل"[10] خصوصا وانه في المرتين السابقتين كان كلما خرج إلى مصر تعرض إلى هجمات من قبل نور الدين في الشام[11] واتفق عموري مع الإمبراطور بان يكون له نصيب من غنائم مصر، وأن يكون له التصرف التام في أنطاكية، والتنازل له عن بعض بلاد الفرنجة[12]، لكن هذه الشروط لم

---

[1]– أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 145.
[2]– أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 32.
[3]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 142.
[4]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج 10، ص 12.
[5]– ومنهم ابن الخياط، هو يحي بن خياط الذي كان من قواد الدولة في عهد وزارة الصلاح طلائع بن رزيك. أنظر ابن واصل: ، ج1،هامش ص 156.
[6]– محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص 116.
[7]– أبو شامة: نفس المصدر، ج2، ص 32.
[8]– ابن واصل: نفس المصدر، ج1، ص 156.
[9]– أبو شامة: نفس المصدر، ج2، ص 32.
[10]- ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2، ص 612.
[11]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 142.
[12]–ستيفان رانسيمان: نفس المرجع ، ج2، ص 612.

تعجب الصليبيين، فقام عموري بإرسال "وليم الصوري" لاستئناف المباحثات مع الإمبراطور البيزنطي الذي كان في صربيا للقضاء على ثورة قامت ضده، فتوجه إليه المبعوث وليم الصوري، وهناك تم عقد الاتفاقية بين الطرفين ، في (ذو القعدة 563هـ/ سبتمبر 1168م)، والتي نصت على قيام الأسطول البيزنطي بمساعدة القوى الصليبية البرية في غزو مصر، وكذلك على أن يقتسم الإمبراطور البيزنطي والملك الصليبي كل ما يجري الاستيلاء عليه في مصر[1]،

غير أن الصليبيين في الشام لم ينتظروا عودة وليم الصوري من بيزنطة بل اشتدوا في الإلحاح على الخروج لمصر، خصوصا بعد وصول قوات صليبية من الغرب بقيادة "وليام الرابع" ورأوا أن لا ضرورة في الاستعانة بالبيزنطيين في غزو مصر واقتسام الغنائم معهم فيما بعد، وتحت كل هذه الضغوطات اضطر عموري للموافقة للخروج دون البيزنطيين[2].

وفي(ذي الحجة 563هـ/ أكتوبر 1168م) خرجت القوات الصليبية في حملتها على مصر[3]، استعمل عموري في هذه المرة الحيلة، فموه أنه يقصد بجيشه حمص لينشغل بها السلطان نور الدين عنهم ثم توجه بجيشه نحو بلبيس[4]، على غفلة من نور الدين والمصريين، حيث أن شاور لم يكن يتوقع هجوم صليبي جديد على مصر، نظرا للمعاهدات المبرمة بينهما.

قام شاور بإرسال رسول إلى عموري قبل وصوله إلى بلبيس يدعى "بدران"، غير أن عموري قام برشوة هذا المبعوث، فأرسل شاور رسول آخر يدعى"شمس الخلافة" قبل بضعة أيام من وصول عموري إلى بلبيس، فقام باحتجاج على عموري لنقضه المعاهدة[5]، فبرر عموري موقفه بما أجراه الكامل بن شاور مع شريكوه دون علمه فاعتبر ذلك بمثابة خيانة له، واشترط أن يدفع له مليونين من الدنانير لينسحب من مصر.

[1]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 143، 144.
[2]– ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2، ص 613.
[3]– إسمت غنيم: المرجع السابق، ص 18.
[4]– حمزة النشرتي وآخرون: المرجع السابق، ص 105.
[5]– ستيفان رانسيمان: نفس المرجع، ج2، ص 614.

لكن شاور بدأ في التحضير للمقاومة، حيث أرسل ابنه" طي" ليتولى قيادة الحامية في بلبيس[1]، ووصل الصليبيون إلى بلبيس في (صفر 564هـ/ نوفمبر 1168م)، فقاموا بحصارها لمدة ثلاثة أيام إلى أن دخلوها[2] فقتلوا واسروا أهلها واستقروا فيها خمسة أيام[3] كما تركوا فيها أثقالهم وجعلوها قاعدة لهم وساروا نحو القاهرة[4].

ولما سمع شاور بمسير الفرنجة إلى القاهرة، أمر بإخلاء الفسطاط ونقل أهلها إلى القاهرة[5]، ثم قام بإحراقها حتى لا تقع في قبضة الصليبيين، فاستخدم في ذلك عشرة آلاف قارورة من النفط وظلت النيران مشتعلة لمدة أربعة وخمسين يوما[6]، و أوى شاور أهل الفسطاط في المساجد والحمامات والشوارع داخل القاهرة[7]، كما قام بإخراج من كان من الفرنجة بمصر، وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون[8].

ووصل الصليبيون إلى الفسطاط في(11 صفر 564هـ/ 13 نوفمبر 1168م)، فخاف الناس منهم وامتنعوا بالقاهرة[9]، ولما ضاق الحصار على القاهرة علم شاور انه لا يستطيع حمايتها، فلجأ إلى المهادنة وإعمال الحيلة، فأرسل إلى عموري يذكر له مودته ومحبته وعرض عليه مالا ليرجع عن مصر[10] وقال له" أمهلني حتى أجمع لك الدنانير"، حيث أطمعه في ألف ألف دينار معجلة[11]، وكان الخليفة الفاطمي بمصر[12] العاضد بعد حريق الفسطاط أرسل إلى نور الدين زنكي يستنجده، ويعرفه ضعف المسلمين عن

---

[1]– المرجع السابق ، ج2، ص 614.
[2]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 145.
[3]- أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 33.
[4]- السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمان، ت (911هـ): **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1387هـ/ 1968م، مصر، ج2، ص 04.
[5]- أبو المحاسن: المصدر السابق، ج 5، ص 333.
[6]- محمد مؤنس احمد عوض: المرجع السابق، ص 98.
[7]- محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 145.
[8]- أبو المحاسن: نفس المصدر، ج5، ص 333.
[9]- سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 429.
[10]- احمد الشامي: المرجع السابق، ص 147.
[11]- البنداري: المصدر السابق، ص 39.
[12]- وبحسب أبو المحاسن فان الإفرنج لما طوقوا القاهرة وضربوها بالمنجنيق أدى بشاور إلى الاستنجاد بنور الدين محمود بأمر العاضد. أنظر أبو المحاسن: نفس المصدر ، ج5، ص 334.

الإفرنج[1] وأرسل في كتبه شعور النساء وقال له:" هذه شعور النساء من قصري يستغثن لتنقذهن من الفرنجة"[2]، والتزم الخليفة بدفع ثلث خراج مصر، وأن يكون أسد الدين مقيم عنده، ويمنحه هو ورجاله أقطاعات خارجا عن ما سيدفعه في ثلث الخراج[3]، وتعهد كذلك بأن يقدم المعونات اللازمة إلى شريكوه من مصر[4].

وما إن وصلت الاستغاثة إلى نور الدين حتى أثرت في نفسه كثيرا، وأسرع إلى تلبية النداء[5] فأرسل إلى أسد الدين يستدعيه من حمص، غير أن المبعوث عند خروجه من حلب لقي أسد الدين قد وصلها، وكان سبب وصوله أن وصلته كتب المصريين هو أيضا[6] وعند وصوله إلى حلب اجتمع بنور الدين، وقد أعجب نور الدين بحضوره وتفاءل به[7]، ثم أمره بتجهيز الجيش وأعطاه مائتي ألف دينار للإنفاق على الجيش سوى الثياب والدواب والأسلحة، كما أعطاه حرية التصرف في إدارة الجيش ومواجهة الأعداء، واختار من العسكر ألفي فارس إلى جانب ستة آلاف من غيرهم وبعث معه عددا من الأمراء[8]، وقال نور الدين إلى صلاح الدين" أخرج مع عمك أسد الدين إلى مصر"، فامتنع وقال:" يا مولاي يكفي ما لقينا من الشدائد في تلك المرة"، فرد عليه نور الدين:" لابد من خروجك"، فما أمكنه مخالفة سيده نور الدين، فخرج مع عمه وسار إلى مصر[9].

تحرك جيش نور الدين محمود بقيادة أسد الدين شريكوه في(ربيع الأول 564هـ/ ديسمبر 1168م)[10]، ورافقهم نور الدين إلى باب دمشق، وأعطى كل فارس من فرسان أسد الدين عشرين دينارا ليستعين بها في الطريق[11]، رحل جيش أسد الدين شريكوه قاصدا

---

[1]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 13.
[2] – أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 33.
[3]– السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة**،المصدر السابق, ج2، ص 04.
[4]– احمد الشامي: نفس المرجع، ص 147.
[5]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 146.
[6]– أبو شامة: نفس المصدر، ج2، ص 34.
[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 13.
[8]– عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: المرجع السابق، ص 368.
[9]– أبو المحاسن: المصدر السابق، ج5، ص 334.
[10]– احمد الشامي: نفس المرجع، ص 147.
[11]– ابن الأثير: نفس المصدر ، ج10، ص 14.

مصر[1]،في هذه الأثناء بقي شاور يفاوض الصليبيين بهدف كسب الوقت لحين وصول النجدة من بلاد الشام، فأرسل إلى الملك عموري يعرض عليه الصلح والجلاء عن مصر حقنا للدماء، مقابل أربعمائة ألف دينار، ويقال ألفي ألف دينار يعجل شاور منها مائة ألف دينار.

ووافق عموري على ذلك، وحمل إليه شاور مائة ألف دينار على دفعات، وأخذ يماطله بالباقي[2]، ولما وصلت الأخبار إلى عموري الأول باقتراب شريكوه من مصر خرج بجيشه إلى بلبيس في(23 ربيع الأول 564هـ/ 25 ديسمبر 1168م)، على أمل أن يباغت قوات شريكوه، غير أن شريكوه خيب ظنه إذ تسلل إلى الجنوب من موضع عموري متجنبا الالتقاء به[3], حتى وصل إلى القاهرة فاستبقه أهلها مرحبين به[4]، في(07 ربيع الثاني 564هـ/ 08 جانفي 1169م)، واجتمع بالعاضد خليفة مصر فأكرمه أتم الإكرام، وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيرة، والاقامات الوافرة[5].

وعندما وجد عموري تحالف القوات المصرية مع القوات النورية أدرك أن بقاء قواته بمصر أصبح مستحيلا، فاضطر للانسحاب ومعه جنده وعادوا إلى بلادهم[6].

ولما أقام أسد الدين شريكوه في مصر، ورحل عنها الإفرنج، ساد الأمن في البلاد، وأعادوا الناس إلى بيوتهم وأخذوا في إصلاحها، وهب الناس إلى خدمة أسد الدين فتلقاهم بالرحب والسعة وأحسن إليهم، وكذلك شاور الذي أخذ في التودد إلى أسد الدين والتقرب إليه، فأكثر له من الولائم والعزائم والنفقات الغزيرة[7]، مع استمراره في مماطلة أسد الدين في ما تقرر دفعه إلى نور الدين من مال قبل خروج الحملة[8]

[1]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 431.
[2]– محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص 114.
[3]- ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2، ص 617.
[4]- محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 146.
[5]- أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 38.
[6]- محمود سعيد عمران: نفس المرجع، ص 114.
[7]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 132.
[8]– أبو شامة: نفس المصدر، ج2، ص 38.

ثم عزم شاور على أن يعمل دعوة يدعو إليها أسد الدين والأمراء الذين معه ليقبض عليهم، لكن ابنه الكامل نهاه عن ذلك وقال له:" والله لأن عزمت على هذا الأمر، لأعرفن شريكوه"، فرد عليه شاور:" والله لان لم نفعل هذا لنقتلن جميعا"، فقال الكامل:" صدقت ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج..."[1].

ورغم كل ما بذله شاور من مهادنة ومماطلة إلا أن هناك من جند أسد الدين الذين بقوا حاقدين عليه ويريدون التخلص منه، غير أن أسد الدين شريكوه لم يوافقهم على ذلك[2]، لكن في أحد الأيام خرج أسد الدين قاصدا زيارة قبر الشافعي، فجاء شاور لزيارته بعسكره فلم يجده فأراد اللحاق به ورافقه في ذلك صلاح الدين وبعض أمراء شريكوه، وفي الطريق انقضوا عليه وأسروه[3]، وتركوه في خيمة إلى أن جاء أسد الدين شريكوه فلم يجد حلا إلا إتمام ما قامت به عساكره[4]، ولما سمع الخليفة العاضد بهذا الخبر، أرسل إلى أسد الدين يطلب منه رأس شاور، فنفذ أسد الدين الأمر[5]، وتم قتل شاور في(17 ربيع الثاني 564هـ/ 18 جانفي 1169م)[6], وأرسل رأسه إلى الخليفة الفاطمي العاضد.

ثم دخل أسد الدين إلى القاهرة ورأى كثرة اجتماع الناس بعد سماعهم بالحادث فخشي على حياته من ردة فعلهم فقال لهم:" أمير المؤمنين يأمركم بنهب دار شاور"، فتفرق عنه الناس، وتوجهوا مباشرة لنهبها[7]، وأما الكامل بن شاور فانه لما قتل أبوه دخل القصر هو وإخوته معتصمين به، وهناك تم قتلهم[8]، ثم دخل شريكوه القصر الفاطمي وعينه العاضد على رأس الوزارة ولقبه بالملك المنصور[9], أمير الجيوش، وجاء في كتاب توليته من قبل

---

[1]–ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص ص 14، 15.

[2]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج17، ص 436.

[3]– ويذكر أبو المحاسن، انه لما القي القبض على شاور قتل مباشرة، بعد علمهم بأنه يدبر مكيدة مع الفرنجة. أنظر أبو المحاسن: المصدر السابق، ج5، ص 335.

[4]– أبو شامة: نفس المصدر، ج2، ص 39.

[5]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 15.

[6]– أبو شامة: نفس المصدر ، ج2، ص 39.

[7]– عبد الرحمان بن خلدون، ت(808هـ): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)2000م، ج5، ص 330.

[8]– ابن الأثير: نفس المصدر، ج10، ص 15.

[9] – أبو المحاسن: نفس المصدر ، ج5، ص 369.

العاضد ما يلي:" هذا العهد لا عهد لوزير بمثله، فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلا لحمله، وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مراشد سبله..."[1]. كما جاء أيضا في سجل تعيينه:" وقلدك أمير المؤمنين أمر وزارته وتدبير مملكته، وحياطة ما وراء سرير خلافته وصيانة ما اشتملت دعوة إمامته، وكفالة قضاة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين..." واتبعه بالعديد من الوصايا عن العامة والجيش[2].

وبتقلد أسد الدين الوزارة تمت الوحدة بين مصر والشام [3]وأصبحت كلها تحت نفوذ نور الدين[4], رغم بقاء الخلافة الفاطمية إلا أن السلطة الفعلية كانت بيد شريكوه الذي يعمل بأوامر نور الدين[5]، وسر نور الدين كثيرا من سير الأحداث في مصر[6] رغم تحفظه من تولي أسد الدين وزارة العاضد خوفا من ميله للفاطميين ومذهبهم[7].

وبعد أخذ كل الصلاحيات من الخليفة الفاطمي العاضد بدأ توطيد سلطانه وتدعيم مركزه في مصر، فعمل على تنظيم شؤون البلاد واستعمل على الأقاليم و الأعمال من يثق فيهم، وأقطع البلاد للعساكر الذين أتوا معه، كما أطلق يد ابن أخيه صلاح الدين في تصريف أمور الدولة لكفاءته ودرايته ومهارته السياسية، ودخلت مصر وقتئذ عهدا جديدا في تاريخها[8]، غير أن الأقدار عجلت في وفاة أسد الدين شريكوه، حيث لم يستمر في الوزارة سوى خمسة وستين يوما[9].

---

[1]– ابن خلدون: نفس المصدر، ج5، ص 330.

[2]– محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص 119.

[3]- أنظر الملحق رقم11.

[4]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 148.

[5]– حمزة النشرتي وآخرون: المرجع السابق، ص 117.

[6]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 14.

[7]– مسفر بن سالم عريج الغامدي: المرجع السابق، ص 311.

[8]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص ص 147، 148.

[9] – الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، ت: 748هـ: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1996م، ج39، ص 16.

وكانت وفاته[1], يوم السبت فجأة في(22 جمادى الثانية 564هـ/ 23 مارس 1169م)[2].

وبعد أن ووري جسد أسد الدين شريكوه التراب، تنازع أمراء نور الدين وقواد الجيش النوري على كرسي الوزارة[3]، وكان من أهمهم: شهاب الدين محمود الحارمي، وهو خال صلاح الدين، وقطب الدين نيال بن حسان المنبجي، وعز الدولة البروقي[4]، فأنفذ الخليفة الفاطمي العاضد يسأل عن من يصلح للوزارة فدله جماعة من الأمراء على شهاب الدين الحارمي، فأرسل إليه واحضره وعرض عليه تولي الوزارة فامتنع عن ذلك، وأشار عليه بصلاح الدين وكان الحارمي قد رغب في الوزارة لكنه لما رأى مزاحمة عز الدولة الباروقي وغيره عليها، خاف هذا الأخير أن يشتغل بطلبها فتفوته هو وربما تفوت صلاح الدين أيضا[5]، لكن الخليفة الفاطمي حسم هذا التنافس بأن أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوليه الوزارة[6]؛ لإعجابه به[7] وما رأى فيه من سداد رأيه وشجاعته[8].

لكن صلاح الدين امتنع عن ذلك، وضعفت نفسه عن هذا المقام، غير انه اخذ كارها وقد يكون هذا مبالغة من بعض المؤرخين[9]، فلما حضر إلى القصر، قلده الخليفة العاضد الوزارة، ولقبه بالملك المنصور[10]، وجاء في سجل تعيينه:" هذا عهد أمير المؤمنين إليك،

---

[1]– وحسب أبي شامة فان وفاته كانت نتيجة مواظبته على تناول اللحوم الغليظة، والإكثار من الأكل فتواترت عليه التخم إلى أن أخذه مرض شديد فقتله. أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 47.

[2]– سهيل زكار: المصدر السابق، ج18، ص 03.

[3]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 150.

[4]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص 331.

[5]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 135.

[6]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 17.

[7]– ويذكر بعض المؤرخين أن العاضد اختار صلاح الدين لحداثة سنه إذ انه لم يتجاوز 32 من عمره، ظنا منه انه اقل رجال نور الدين خبرة في شؤون الحرب والسياسة، وبذلك يصير أداة طيعة في يده. محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 151.

[8]– السيد علي الحريري: نفس المرجع ، ص 135.

[9]- أبو شامة: المصدر السابق ، ج2، ص 48.

[10]– الذهبي: **تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير و الأعلام**،المصدر السابق, ج39، ص 17.

وحجته عند الله تعالى عليك، فأوفي بعهدك ويمينك، وخذ كتاب أمير المؤمنين بيمينك..."[1].

وفي بادئ الأمر اختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه، لكنه استمالهم إليه، إلا البـــاروقي فانه امتنع وعاد إلى نور الدين في الشام[2]، ولهذا لم يؤمن صلاح الدين على الباروقي ومن معه بالشام فيما بعد، أما نور الدين فقد رضي عن تقلد صلاح الدين الوزارة فـــي مصـــر وفرح بهذا الاختيار[3]، حتى أنه أصبح يرسل إليه في مخاطباته:" إلى الأمير الإسفهسلار"[4]، يعني به لقب الأمير الحاكم الذي كان يطلق في ذلك الوقت على كبار القواد[5].

ويعد تاريخ تولي صلاح الدين الوزارة في مصر في(25 جمادى الثانية 564هـــ/ 26 مارس 1169م)[6]، وهو بوادر ظهور الدولة الأيوبية، في حين بدأت الدولة الفاطميـــة في مصر في الوهن والضعف والانحطاط، إلى أن انقرضت تماما بعد سنتين، والواقع أن صلاح الدين لم يكد يتسلم زمام الأمور حتى برهن على مقدرته عســـكريا كقائـــد وعلـــى براعته سياسيا[7]، بدليل انه أخذ يستميل قلوب الناس ببذل الأموال لهم، حيث مـــالوا إليـــه وأحبوه، مما أدى إلى ضعف الخليفة الفاطمي العاضد[8] الذي حجر عليـــه صـــلاح الـــدين ومنعه من كل تصرف[9]،

كما أرسل صلاح الدين إلى نور الدين يطلب إرسال إخوته إليه، لكن نور الـــدين لـــم يجب طلبه، وقال:" أخاف أن يخالفك أحدهم منهم عليك، فتفسد البلاد..."، لكن نور الـــدين ما لبث أن سير عسكر إلى صلاح الدين، وفيهم إخوته وعلـــى رأســـهم شـــمس الدولـــة "تورانشاه بن أيوب" الأخ الأكبر لصلاح الدين الذي أعطى ضمانات إلى نور الدين بأنه لا

---

[1]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 151.
[2]– ابن خلدون :المصدر السابق ، ج5، ص 331.
[3]– محمد فريد أبو حديد: **صلاح الدين الأيوبي وعصره**، دار الكتب المصرية، مصر، (د ط),1927م، ص 66.
[4]– ابن الأثير: نفس المصدر، ج10، ص 17.
[5]– محمد فريد أبو حديد: نفس المرجع ، ص 66.
[6]– عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص 82.
[7]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 151.
[8]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص ص 17، 18.
[9]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 151.

يفسد في مصر، حيث قال:" افعل معه من الحكمة والطاعة ما يصل إليك إن شاء الله تعالى"[1].

وبما أن صلاح الدين تقلد وزارة العاضد كنائب على نور الدين محمود في مصر، لذلك أصدر صلاح الدين قرارا بأن تتم الخطبة للخليفة العاضد ثم بعده نور الدين زنكي ثم صلاح الدين[2]، كما أمر صلاح الدين بإبطال المكوس الفاطمية التي كانت مفروضة على المصريين[3], ولعل هذا ما زاده حبا في قلوب الناس[4]، ومما ساهم في تدعيم مركز صلاح الدين وقتئذ هو إحكام قبضته على الجنود بعد أن أحسن لجميع العسكر الشامي والمصري فأحبوه وأطاعوه، وفي سعيه لتقوية نفوذه شرع صلاح الدين في الإنقاص من أقطاعات المصريين وأعطاها للشاميين[5], كما قام بتأسيس المدارس وتحصين المدن والموانئ المصرية[6].

لم يكد صلاح الدين يتخطى العقبة الأولى بتنافسه مع أمراء أسد الدين شريكوه[7]، اضافة إلى سعيه لتوطيد حكمه في مصر، كانت الخلافة الفاطمية لا يزال فيها جيش يساندها وثلة من كبار رجال الدولة الذين وقفوا عقبة في وجه صلاح الدين[8]. وكان من بينهم: مؤتمن الخلافة "جوهر الخصي" الذي كان يتحكم في القصر الفاطمي، وكان يطمع في أن يخلف شاور في الوزارة[9].

لذلك رسم مؤتمن الخلافة خطة لتنحية صلاح الدين، فاتفق هو وجماعة أمراء المصريين على مكاتبة الفرنجة واستدعائهم إلى مصر ليتقوى بهم على صلاح الدين[10]، فإذا ما خرج صلاح الدين للقاء الفرنجة، قبض مؤتمن الخلافة وأصحابه على من بقي من

---

[1]– أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص ص 49، 50.
[2]– مسفر بن سالم عريج الغامدي: المرجع السابق، ص 312.
[3]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 138.
[4]– مسفر بن سالم عريج الغامدي: نفس المرجع ، ص 312.
[5]- محمود محمد الحويري: نفس المرجع ، ص 151.
[6]- مسفر بن سام عريج الغامدي: نفس المرجع ، ص 312.
[7]- احمد الشامي: المرجع السابق، ص 151.
[8]- محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 151.
[9]- احمد الشامي: المرجع السابق، ص 151.
[10]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 19.

أتباع صلاح الدين في القاهرة. ومن ثم الانضمام إلى الفرنجة للقضاء نهائيا على صلاح الدين[1] .

غير أن الخطة انكشفت[2], وامسك صلاح الدين بخيوط المؤامرة[3]، إلا أن صلاح الدين كتمها مدة من الزمن حتى اطمأن مؤتمن الخلافة، إلى أن خرج يتنزه في بعض القرى[4], فأرسل إليه صلاح الدين فرقة من الجنود بقيادة أخيه "تورانشاه" لقتله، وتمكنوا من قتله سنة (564هـ/ 1169م)[5].

وهذا ما أدى إلى قيام ثورة قام بها الجند السوداني وحراس القصر الفاطمي، ووقعت معركة طاحنة داخل القاهرة في مكان يسمى "بين القصرين"، واستمرت المعركة يومين وفتك جند صلاح الدين بهم اشد الفتك حيث أن كلما لجأوا إلى مكان قام بإحراقه إلى أن طلبوا الأمان بعدما كثر فيهم القتل فأجابهم صلاح الدين إلى ذلك وكان ذلك في يوم(السبت 28 ذي القعدة 564هـ/ 23 أوت 1169م)، وبالقضاء على هذه الطائفة ضعف أمر العاضد وتلاشى أمره كليا[6].

لم ييأس الملك الصليبي عموري الأول من محاولاته للاستيلاء على مصر بعد أن ضمها نور الدين إليه، لإدراك عموري بالخطر الذي يهدده من طرف نور الدين[7]، فقام بإرسال سفارات نحو ملوك أوروبا يدعوهم للقيام بحملة صليبية جديدة لانتزاع مصر من نور الدين، فلم تلق هذه السفارات تجاوبا، وأرسل سفارة إلى إمبراطور القسطنطينية

[1]- محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص 119.
[2]- أرسل مؤتمن الخلافة برسالة إلى الصليبيين مع احد غلمانه وضعها في نعليه، ولما وصل بلبيس ارتاب احد رجال صلاح الدين في أمره، لأنه كان يحمل نعله في يده وليس فيها اثر مشي، واخذ النعلين منه، فوجد الرسالة، وبعث بها إلى صلاح الدين، الذي بدوره قام بالبحث إلى أن عثر على كاتبها، وهو احد اليهود، فلما امسك به صلاح الدين دخل اليهودي إلى الإسلام واعترف له بصاحب المؤامرة الحقيقي. أنظر أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 86.
[3]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 152.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص 332.
[5]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع ، ص 152
[6]– ابن واصل: المصدر السابق، ج1، ص ص 176– 177.
[7]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 153.

"مانويل" وقبل هذا الأخير التعاون مع عموري[1] فأرسل له أسطولا بحريا مؤلف من مئة وخمسين مركبا مملوءا بالذخائر والمؤن والعدة والرجال[2].

واتجه الصليبيون نحو مصر برا والبيزنطيون بحرا، حتى وصلت إلى دمياط في (05 صفر 565هـ /27 أكتوبر 1169م)[3], لكنهم لم يستطيعوا الدخول إلى المدينة بسبب وجود المآصر[4], في حين تحركت قوات صليبية وبيزنطية من عسقلان قاصدة السير إلى دمياط وقاموا بحصارها[5], فبعث إليها صلاح الدين عساكر في النيل، وأمدها بالسلاح والذخائر، وبعث إلى نور الدين طالبا المدد، مبرزا تخوفه إنه إذا تأخر على دمياط ملكها الفرنجة، وإذا سار إليها غدر به أعداءه من المصريين[6], فسير نور الدين إليه المدد على دفعات متتالية، ثم سار هو بنفسه إلى بلاد الفرنجة فنهبها وأغار عليها واستباحها[7].

أما العساكر الصليبية في دمياط فقد تعرضت إلى مشاكل عديدة، فمؤنهم بدأت في التضاؤل ووقوع مشاكل، وعدم الثقة بين الحليفين، حيث أن الإفرنج لم يقدموا مؤن للبيزنطيين رغم توفرها عندهم[8]، وليس هذا فحسب بل تسببت الأمطار الغزيرة في فيضان النيل، وأحالت معسكر الفرنجة إلى مستنقع لا يمكن المكوث فيه، في حين بقي المسلمون صامدين وراء تحصيناتهم[9] ، ما اضطر عموري لرفع الحصار والعودة إلى بيت المقدس في "ربيع الثاني 565هـ/ ديسمبر 1169م"، بعد أن فشلت الحملة المشتركة على مصر

---

[1]– ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ج2، ص ص 620، 621.
[2]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 141.
[3]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص 171.
[4]– **المآصر**: هي عبارة على سلاسل حديدية سميكة تمتد في مدخل الميناء بالعرض لتمنع دخول الأعداء. احمد الشامي: المرجع السابق، ص 152.
[5]- نفس المرجع ، ص 152.
[6]– أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص 91.
[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 22.
[8]– ستيفان رانسيمان: نفس المرجع ، ج2، ص 625.
[9]– ألبير شاندور: **صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام**، تر سعيد أبو الحسن، نديم مرعشلي، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ط2، 1993م، ص 90.

ومني الأسطول البيزنطي بخسائر جسيمة أثناء انسحابها، فقد هبت عليه عاصفة أغرقت عددا من السفن[1].

قطع الخطبة للفاطميين:

كان نور الدين شديد الحرص على إنهاء الخلافة الفاطمية بمصر، لذلك حث نائبه على مصر على سرعة تنفيذ هذا الأمر عن طريق قطع الدعاء في الخطبة يوم الجمعة للخليفة الفاطمي واستبداله بالدعاء للخليفة العباسي، وأرسل له في ذلك مع والده نجم الدين أيوب[2] لكن صلاح الدين لم ينفذ الأمر مباشرة لعلمه مدى صعوبة تغيير عقيدة بلد بأكمله بين ليلة وضحاها[3]، بالإضافة إلى تشعب موقفه هو في حد ذاته، فهو وزير للخليفة الفاطمي العاضد الشيعي، وفي نفس الوقت نائب لنور الدين السني على مصر[4], ولإحساسه بتغير شعور نور الدين نحوه، فرأى أن يبقي على الخلافة الفاطمية لتكون سلاحا يستخدمه عند الضرورة وأخذ يماطل نور الدين في الأمر[5]، فاعتذر متحججا بميل أهل مصر إلى العلويين[6]، فلم يصغ نور الدين إلى أمره، وأرسل إليه ليلزمه إلزاما شديدا[7] .

وعلى اثر كثرة إصرار نور الدين على الأمر، قام صلاح الدين باستشارة أمراءه فمنهم من قبل، ومنهم من خاف ورفض، إلى أن تقدم رجل يعرف بالأمير العالم "قال أنا ابتدأ بالخطبة له"، وفي يوم الجمعة من شهر محرم(567هـ/ سبتمبر 1171م) صعد الأمير العالم المنبر قبل الخطيب و دعى للخليفة العباسي المستضيء[8]، فلم ينكر عليه أحد من الحاضرين، وفي الجمعة التالية أمر صلاح الدين بتعميم الخطبة في المساجد كلها

[1]– احمد الشامي :نفس المرجع ، ص 153.
[2]– حمزة النشرتي وآخرون: المرجع السابق، ص 142.
[3]– ألبير شاندور: المرجع السابق، ص 52.
[4]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 157.
[5] أسامة حسن: المرجع السابق، ص ص 23، 24.
[6] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص 333.
[7] ابن واصل : المصدر السابق، ج1، ص 200.
[8] ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 34.

للخليفة العباسي، في حين كان الخليفة الفاطمي العاضد، قد اشتد به المرض ومنعت عليه الأخبار خوفا عليه، وتوفي يوم عاشوراء(10 محرم 567هـ/ 12 سبتمبر 1171م)، وهو لا يعلم بسقوط دولته، وبموته انتهت الدولة الفاطمية[1].

وفي يوم (السبت 22 محرم 567هـ/ 24 سبتمبر 1171م)، وصلت البشائر للخليفة العباسي بإقامة الخطبة له بمصر وضرب السكة باسمه[2], وأرسل الخليفة العباسي إلى نور الدين محمود بتشريف عظيم القدر ومعه سفيان إشارة على تملكه مصر والشام، والى صلاح الدين بتشريف آخر[3].

الخلاف بين نور الدين وصلاح الدين:

شهدت العلاقة بين نور الدين وصلاح الدين خلافا كبيرا، كاد يؤدي إلى وقوع صدامات بينهما لعدة أسباب، أن صلاح الدين بعث برسول إلى الخليفة العباسي ببغداد يبشره بعودة مصر إلى الخلافة العباسية وإنهاء الدولة الفاطمية، فاعتبر نور الدين محمود هذا التصرف إهانة له وإهمالا لشأنه، خاصة أن صلاح الدين يحكم في مصر باسمه[4]، ومن ناحية أخرى كان نور الدين متخوفا من أن يستقل صلاح الدين بحكم مصر، فتضيع جهوده التي بذلها في ضمها[5].

أما السبب الرئيسي أن صلاح الدين سار من مصر إلى بلاد الفرنجة لمحاربتها ونزل بحصن الشوبك[6], وقام بحصارها والتضييق على من به من الفرنجة ثم قاتلهم وأخطرهم إلى طلب الأمان، لكن طالبوه مهلة عشرة أيام، فأجابهم إلى ذلك[7], فلما سمع نور الدين بذلك خرج قاصدا حصن الكرك، وأمر صلاح الدين أن يتقدم بجيشه ويلتقيان على حصار الحصن، وخرج صلاح الدين فعلا من القاهرة في (محرم 567هـ/ سبتمبر

[1] احمد الشامي: المرجع السابق، ص ص 154، 155.
[2] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج18، ص 196.
[3] السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 148.
[4]– احمد الشامي: المرجع السابق، ص 155.
[5]– نفس المرجع ،ص 155.
[6]– **حصن الشوبك:** قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وآيلة والقلزم قرب الكرك . ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 370.
[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص 35.

1171م) غير أنه قفل راجعا في الطريق[1], وذلك أن أصحابة خوفوه من نور الدين, إذا تمكن من القضاء على الفرنجة فانه سيتفرغ للقضاء عليه[2]، فأرسل صلاح الدين يعتذر عن تقدمه لمساعدة نور الدين متحججا بان بقايا الفاطميين على وشك إشعال ثورة بها، وان الأمور مضطربة بها مما يتطلب العودة إليها[3] .

فعلم نور الدين أنها مماطلة مقصودة، فعزم على المسير بنفسه إلى مصر ومحاسبة صلاح الدين، ولكنه قبل ذهابه بعث إليه يهدده بالعزل إذا لم يطع أوامره[4], فأسرع صلاح الدين إلى عقد اجتماع مع أهله وعشيرته, و أمرائه لاستشارتهم فيما ينبغي عمله للتصدي لنور الدين، فأشار عليه ابن أخيه تقي الدين عمر بالوقوف في وجه نور الدين لمحاربته فثار أبوه نجم الدين أيوب فور سماعه هذا الرأي[5], وشتم الجميع وقال:" أنا أبوك وهذا خالك، أتظن أن هناك من يحبك أكثر منا أو أن هناك من يريد لك الخير مثلنا"، فأجابه صلاح الدين بالنفي، ثم أخذ يسرد محاسن نور الدين، ويعلن الولاء التام له، حتى انه قال:" لو أمرنا بضرب عنقك بالسيف ما ترددنا لحظة في ذلك", وأمره بكتابة رسالة إلى نور يطمئنه ويستميله فيها[6], ثم انفرد نجم الدين أيوب بولده(صلاح الدين)، ونصحه بعدم مناقشة هذه الأمور في مثل هذه المجامع وأخبره بأنه سيساعده ضد نور الدين مهما كان الأمر, قائلا:" لو أراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو اقتل"، ففعل صلاح الدين ما أمره به أبوه، وأرسل بالكتاب والهدايا إلى نور الدين[7].

ورغم ذلك فان نور الدين ظل على توجس من موقف صلاح الدين ومشاريعه، فأراد أن يقف على حقيقة ما يجري في مصر، فأرسل وزيره موفق الدين خالد بن القسراني لعمل حساب مفصل عما استولى عليه صلاح الدين من قصور الخلفاء

[1]– حمزة النشرتي: المرجع السابق، ص 162.
[2]– ابن الأثير: نفس المصدر ، ج10، ص ص 35، 36.
[3]– احمد الشامي: نفس المرجع ، ص 156.
[4]– السيد علي الحريري: المرجع السابق، ص 150.
[5]– محمود محمد الحويري: المرجع السابق، ص 161.
[6]– حمزة النشرتي وآخرون: المرجع السابق، ص ص 162– 163.
[7]– السيد علي الحريري: نفس المرجع، ص 151.

الفاطميين, فقدم إليه صلاح الدين البيانات المطلوبة، وأحاطه علما بالأموال التي تنفق في حكم مصر[1].

هدأت الأمور نوعا ما بين الطرفين واتفقا على الخروج معا لغزو الصليبيين، وخرجت الحملة فعلا وما كاد صلاح الدين يفرض حصارا على حصن الكرك حتى قفل راجعا مجددا إلى مصر، بعد أن علم بقرب وصول نور الدين متعللا بمرض أبيه، وهذا ما زاد من سخط نور الدين عليه[2],رأى نور الدين محمود فتور صلاح الدين فيما يأمره به من غزو الصليبيين، وعلم أن مصلحة صلاح الدين في أن يظل هؤلاء الصليبيين حاجزا فيما بينهما، ليمتنع بهم عن وصول نور الدين إلى مصر، فاخذ يعد نفسه وقواته للخروج إلى مصر، وأخذها من صلاح الدين[3]، غير أن المنية عاجلته وتوفي بدمشق قبل خروجه لمسعاه سنة (569هـ/1173م)[4].

[1]– محمود محمد الحويري: نفس المرجع، ص 162.
[2]– أسامة حسن: المرجع السابق، ص 29.
[3]– احمد الشامي: المرجع السابق، ص 157.
[4]– تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص ص 173، 174.

الخاتمة

خـــــــــاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي حاولنا من خلال تسليط الضوء على الدور الذي لعبه السلطان نور الدين زنكي في الحروب الصليبية خرجنا بمجموعة من النتائج التالية:

- إن المأساة التي ترتبت عن انقسام المسلمين وضعفهم ،من احتلال الصليبيين للبلاد الإسلامية على حين غرة تحول في النهاية إلىحافز للتوحد ضد الخطر الداهم وقد رأينا كيف أن السلاجقة لم يعودوا يتسامحوا مع مرور أي حملة صليبية في بلادهم حتى ولو كانت تقصد بلدا غير بلدهم(الشام) وكيف هب الجميع من الشام وحتى العراق للتصدي للحملة الصليبية الثانية متناسين كل أحقادهم وخلافاتهم لإدراكهم مدى الخطر الذي ينجم عن هذه العواطف الضيقة.
- في حين كان الأوربيون يدركون مدى الضعف والانقسام الذي يعيشه المسلمين، فدعوا ملوكهم وعامة الناس لمحارب المسلمين، وقد نجحوا في تجميع القوى المسيحية،واستطاعوا أن يحققوا نجاحا باهرا بأن أسسوا إمارات صليبية مستقلة عن أوربا .
- لقد جاءت ردت فعل المسلمين بعد مدة من الزمن، عندما تول بعض السلاطين المسلمين حملوا لواء الجهاد ضد الصليبيين من أهمهم : شرف الدولة مودود،وعماد الدين زنكي،الذي تمكن بعد صراع طويل مع الصليبيين من تحرير إمارة الرها من أيديهم، مما خلق هلعا وبلبلة في قلوبهم و أدركوا أن زمن حكم هذه المنطقة دون منازع قد بدأ يزول.
- انقسمت دولة عماد الدين زنكي بين ولديه سيف الدين غازي الذي تولى حكم الموصل، ونور الدين محمود الذي تولى حكم حلب،وقد واجه نور الدين العديد من المشاكل في بداية حكمه، كعصيان أهل الرها عليه، وطمع بعض الحكام المسلمين في أقاليمه, حيث قام معين الدين أنر بحصار بعلبك وانتزعها من نور الدين مباشرة بعد توليه الحكم، غير أن قوة شخصية نور الدين التي عرفت بالورع والشجاعة، وبحسن القيادة ومراجعة العقل في مختلف المواقف وحسن اختياره لحاشيته، ضف

إلى ذلك قوة علاقته بإخوته، رغم وجود بعض الخلافات التي لم تصل يوما إلى حد الاقتتال، مما مكنه من تجاوز كل الصعوبات وتأسيس سلطنة قوية لها وزنها وكلمتها المسموعة لدى الجميع.

- بعد تنظيم نور الدين أمور دولته الداخلية انطلق في مشروعه الكبير وهو توحيد القوى الإسلامية وتصفية المنطقة من الوجود الصليبي، واتبع في ذلك سياسة تمتاز بالذكاء و الحنكة السياسية دعمها بالقوة العسكرية، فكان مع المسلمين يستعمل تارة القوة مع البعض كضمه حصن شيزر من آل منقذ، والمهادنة مع الآخرين مدعما علاقاته بالمصاهرة، كزواجه من بنت مجير الدين ابق حاكم دمشق، وزواجه أيضا من بنت السلطان السلجوقي مسعود صاحب قونية، والملاحظ انه استخدم كل الخطوات لضم دمشق لما لهذه المنطقة من أهمية، وقد حاصرها ثلاث مرات وعقد مهادنات وتعاون مع حكامهم، لمعرفته بعلاقتهم الجيدة مع الصليبين رغم انقطاعهم في الأخير لطمع الصليبين فيها حتى أن الحملة الصليبية الثانية جعلت من دمشق هدفا لها لذلك بذل نور الدين كل جهوده لفتحها والاستيلاء عليها .
- اتبع نور الدين سياسة متنوعة اتجاه الصليبين، فنجد أنه قام بمساعدة القمص صاحب طرابلس لاستعادة حكمه، كما كانت له مهادنات مع الصليبين خصوصا في الفترة ما بعد فتح دمشق، وكان سبب ذلك أنه يريد إعادة تنظيم صفوف دولته وإعطائها نوعا من الاستقرار، لكن على العموم كان في حروب دائمة معهم تمكن خلالها من فتح العديد من القلاع والحصون مثل حران، العريمة، بانياس، المنيطرة، الأكراد، وغيرها من الحصون، وحصر الوجود الصليبي في بيت المقدس وطرابلس وبعض مناطق أنطاكية، وتمكن من اسر والقضاء على بعض اخطر القادة الصليبين كجوسلين حاكم الرها وريموند حاكم أنطاكية.
- امتازت الخطط العسكرية لنور الدين بالتنوع فكان يستخدم الحصار والصدامات المباشرة وأحيانا يقوم بهجومات مشتركة خصوصا مع إخوته، فكانوا يهجمون من الشمال من الموصل وهو من الجنوب، كما كانت له محاولات للتنسيق مع المصريين على عهد الوزير ابن السلار لكن لم يتم له الأمر.

- كان لموقع مصر الاستراتيجي بتوسطها طرق التجارة و تنوع ثرواتها و خيراتها بالإضافة إلى مكانتها الحضارية المهمة دور في الصراع بين نور الدين و عموري حاكم بيت المقدس، فكل واحد منهما يهدف إلى استغلال تلك الإمكانيات لصالحه.
- كان للوزير المصري الماكر شاور دورا بارزا في إطالة أمد الصراع حول مصر، حيث كان في كل مرة يستغل أطماع كلا الطرفين، فيتعاون مع الصليبين إذا أحس أن هناك خطر من جهة نور الدين ويتعاون مع نور الدين إذا كان هناك خطر من الصليبين فيضرب بذلك كل طرف بالأخر.
- لقد كان لأسد الدين شريكوه الأثر البالغ في دفع سيده للدخول في الصراع حول مصر، فدائما كان يعرض عليه الأمر ويلح في ذلك، كما أن نور الدين تشجع للأمر لما رأى إصراره على ذلك.
- كان الصراع المذهبي بين السنة و الشيعة من أهم الدوافع لتدخل نور الدين في مصر، فكثيرا ما كان الخليفة العباسي يصر عليه للقضاء على الفاطميين المعادين له في المذهب، ونور الدين نفسه لم يكن مرتاحا للتواجد الفاطمي الشيعي.
- إن ضم مصر لحكم نور الدين مكنه من فرض حصار على مملكة بيت المقدس الصليبية، مما مهد لسقوطها فيما بعد على يد صلاح الدين الأيوبي.
- أصبح الحكم التام في مصر في يد نواب نور الدين، أسد الدين شريكوه و بعده صلاح الدين الأيوبي، مما أعطاه الفرصة للقضاء على الخلافة الفاطمية و إعادة مصر إلى الخلافة العباسية.
- أن موت نور الدين قدم خدمة كبيرة للإسلام لأنه كان بصدد توجه لحرب صلاح الدين، مما يعني انتكاسة جديدة للقوى الإسلامية، وتوجيه قواه ضد بعضها البعض، بدل توجيهها ضد الأعداء الصليبيين.

الملاحق

ملحق رقم 1

سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث: **أطلس الحملات الصليبيةعلى المشق الاسلامي في العصور الوسطى**, مكتبة العبيكان,الرياض السعودية,ط1, 2009, ص 17.

ملحق رقم 2

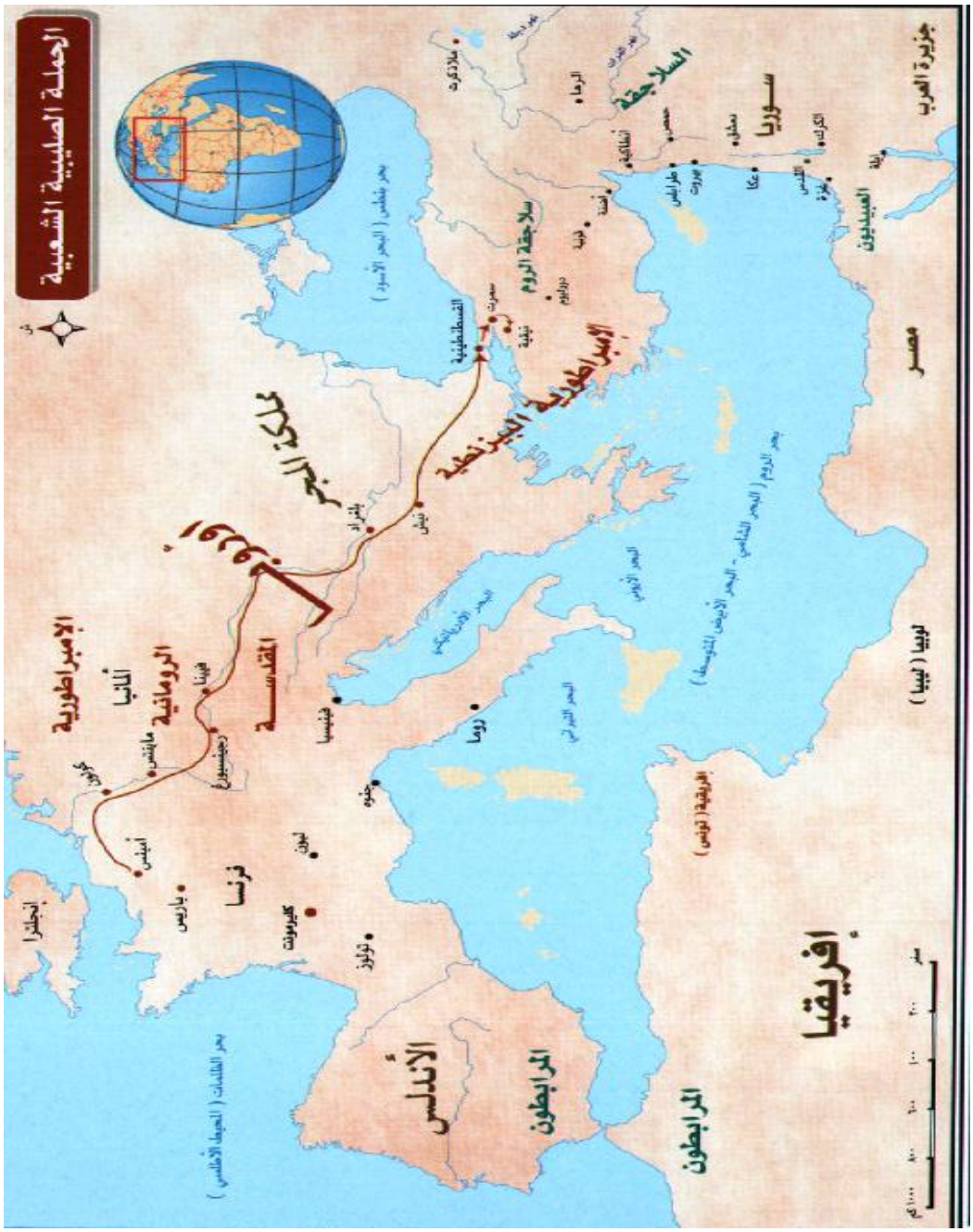

نفس المرجع: ص 29.

ملحق رقم 3

نفس المرجع: ص 47.

ملحق رقم 4

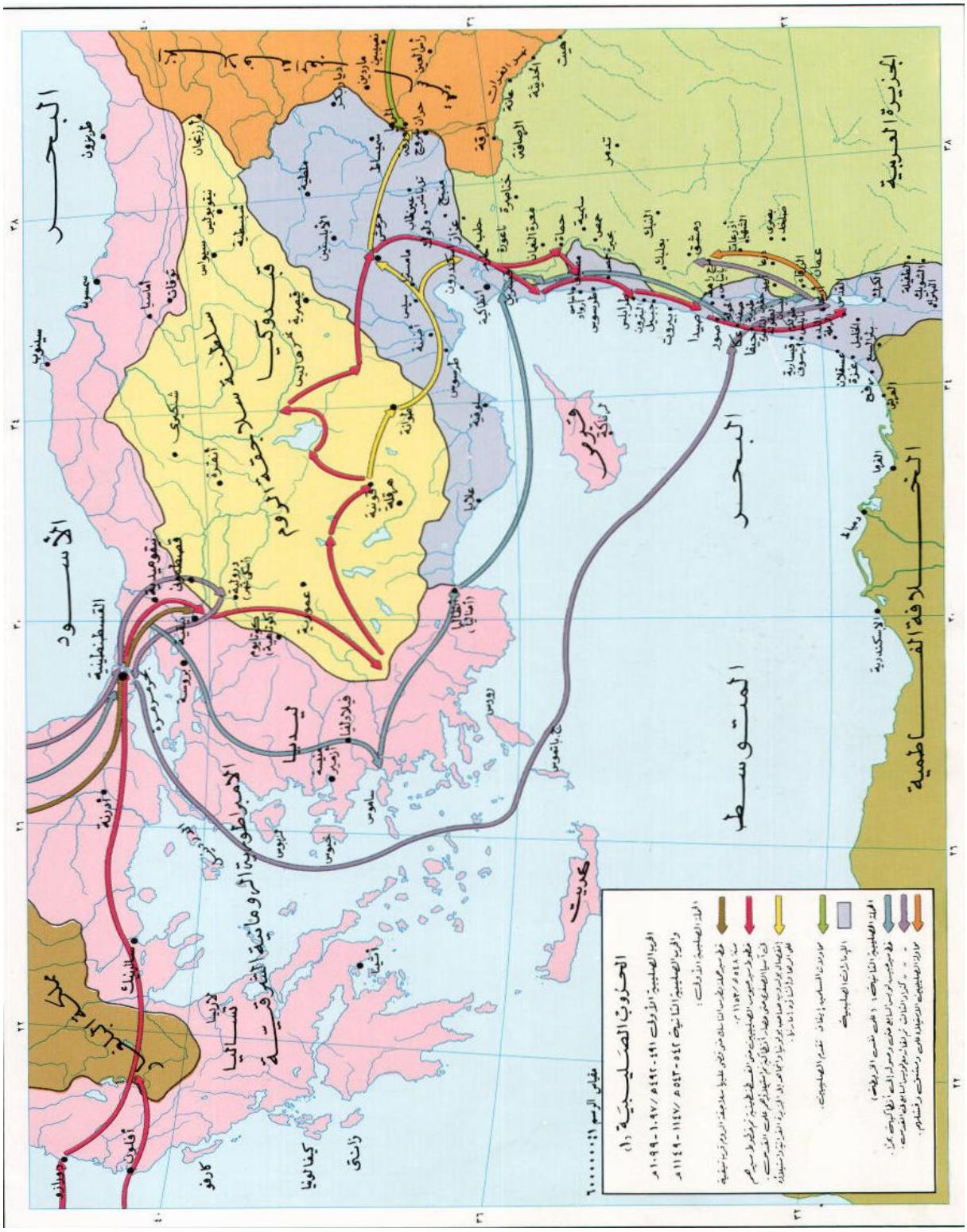

حسين مؤنس: **أطلس التاريخ الإسلامي**, الزهراء للإعلام العربي, القاهرة- مصر, ط1, 1987, ص 262.

ملحق رقم 5

سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث: المرجع السابق, ص 81.

ملحق رقم 6

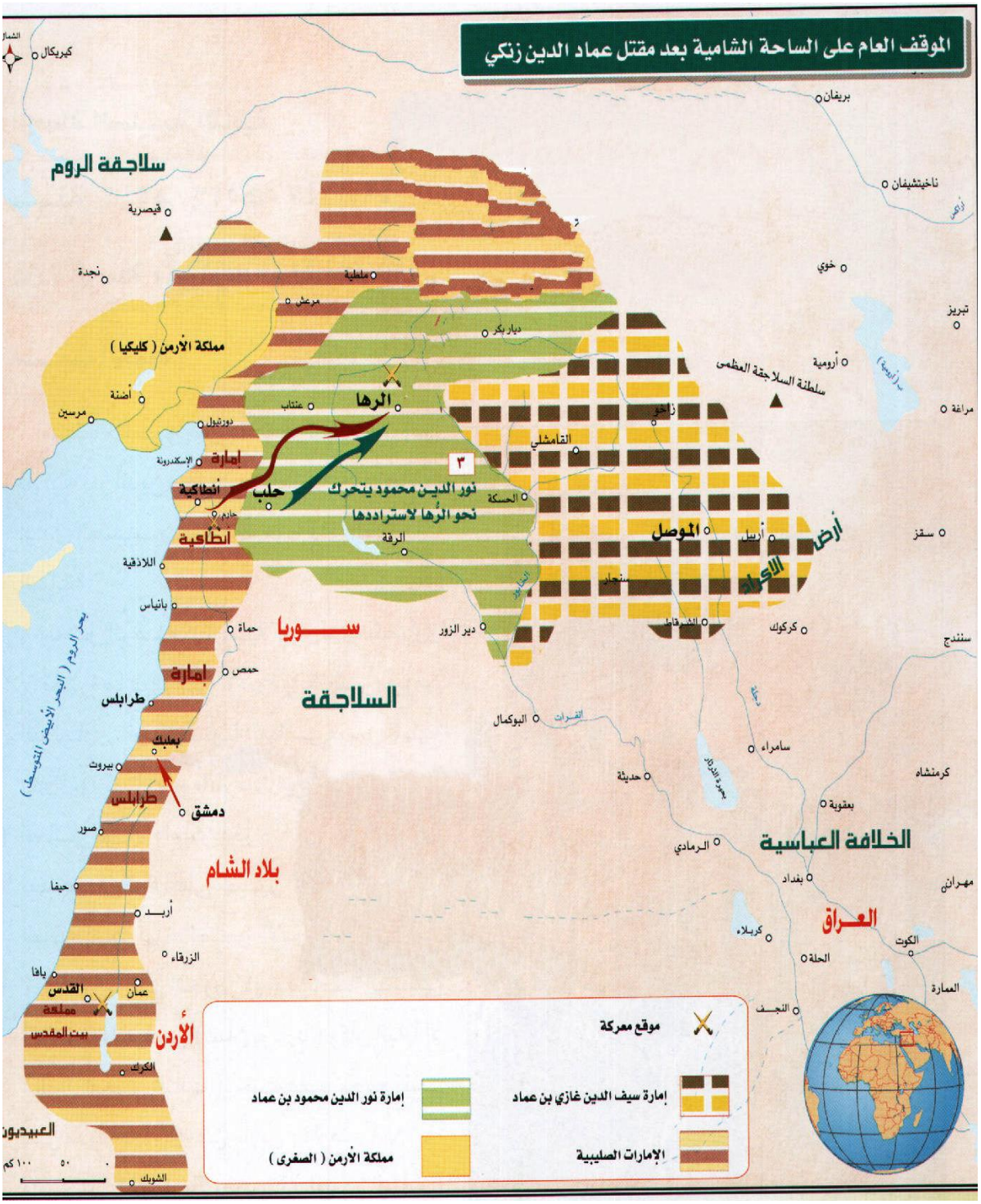

نفس المرجع, ص 85.

ملحق رقم 7

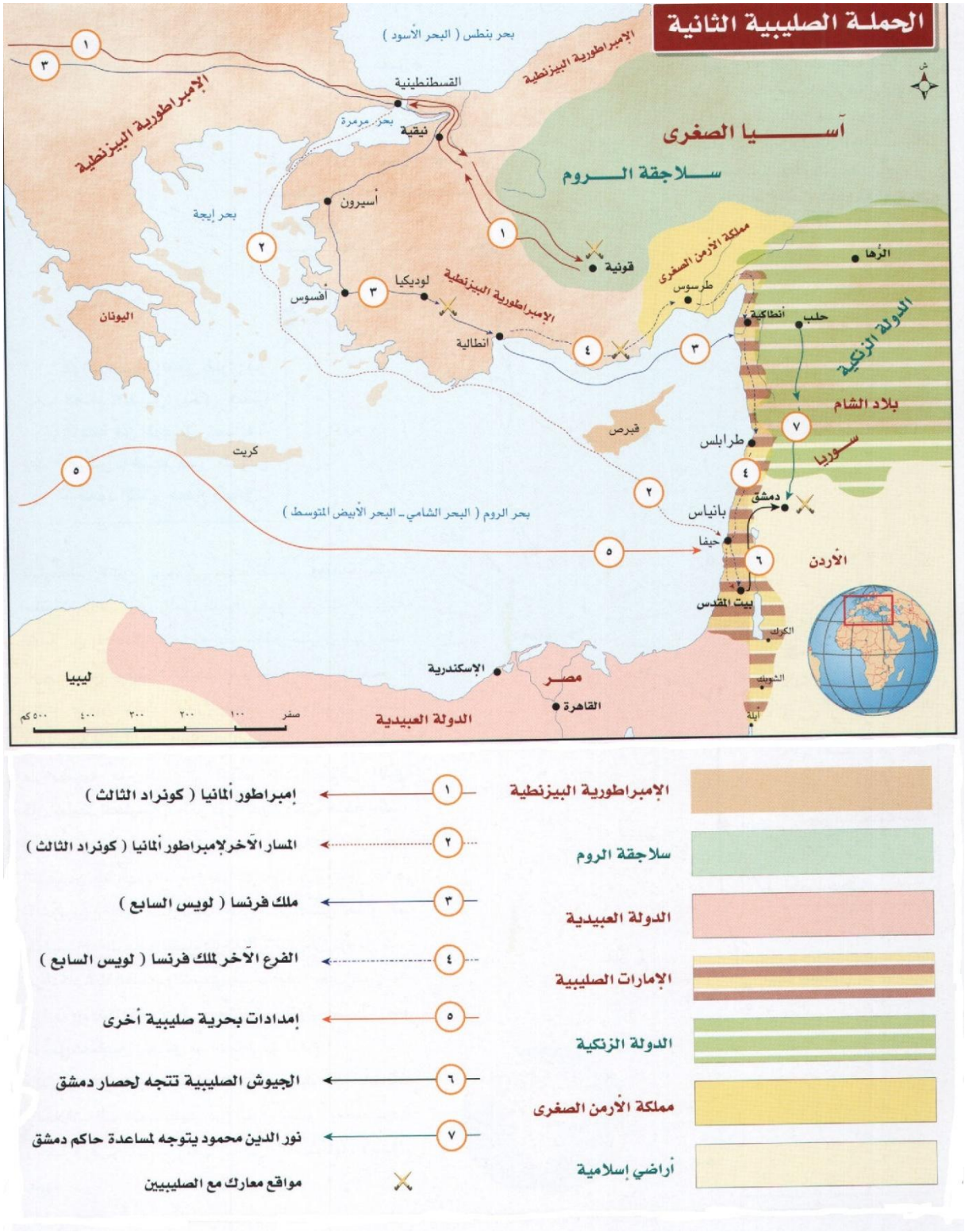

لمرجع نفسه, ص 87.

ملحق رقم 8

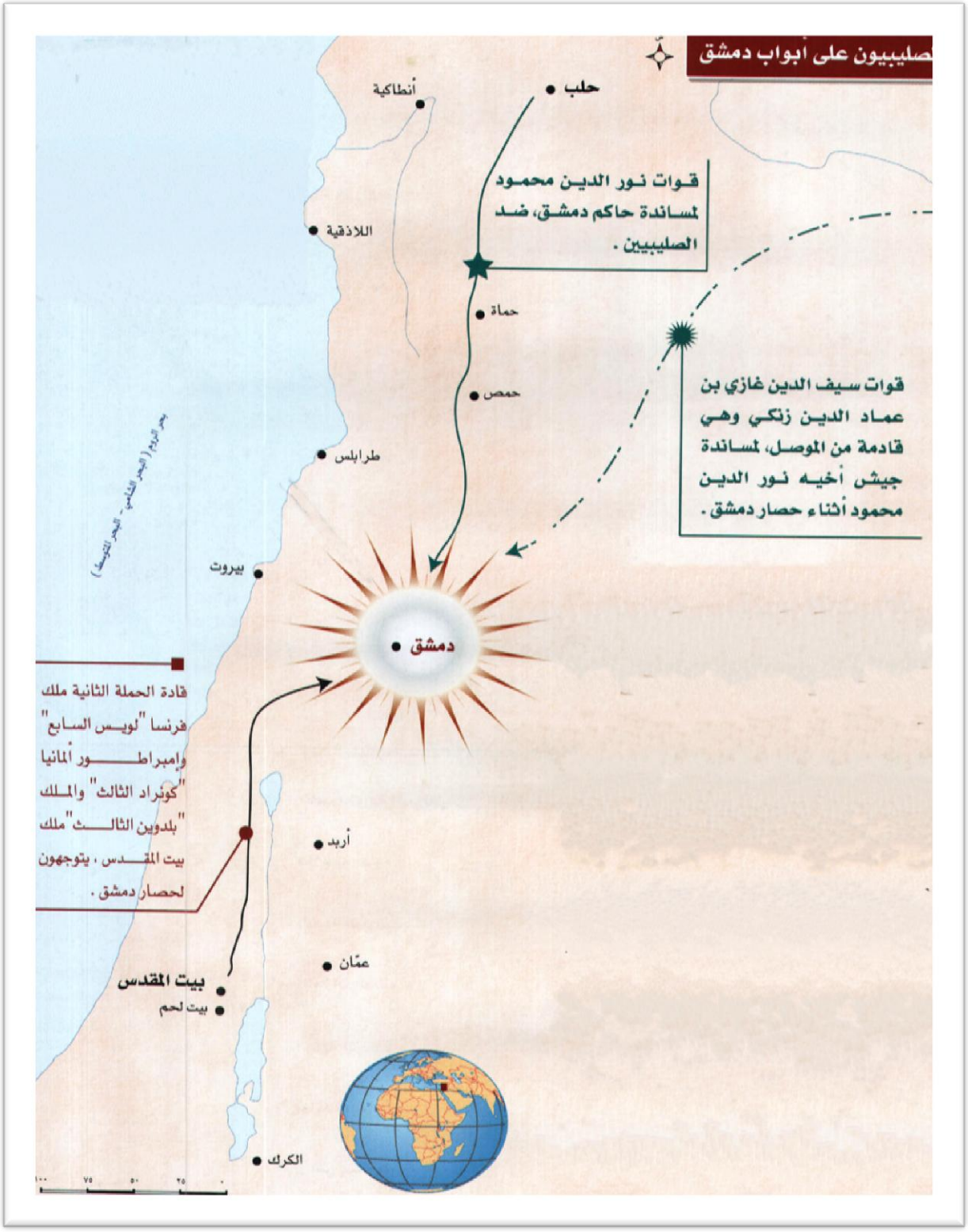

المرجع نفسه, ص 88.

ملحق رقم 9

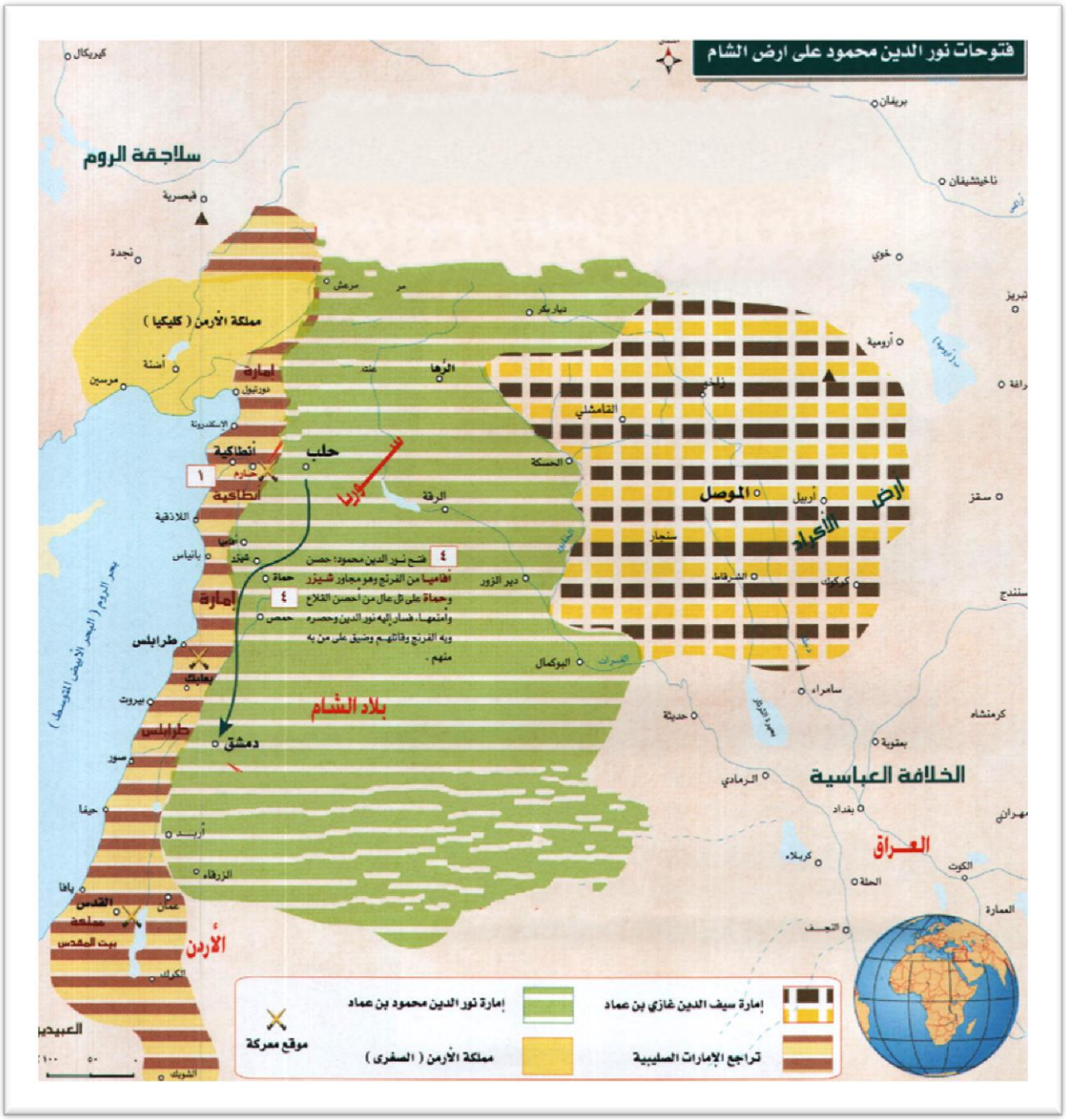

المرجع نفسه, ص 90.

ملحق رقم 10

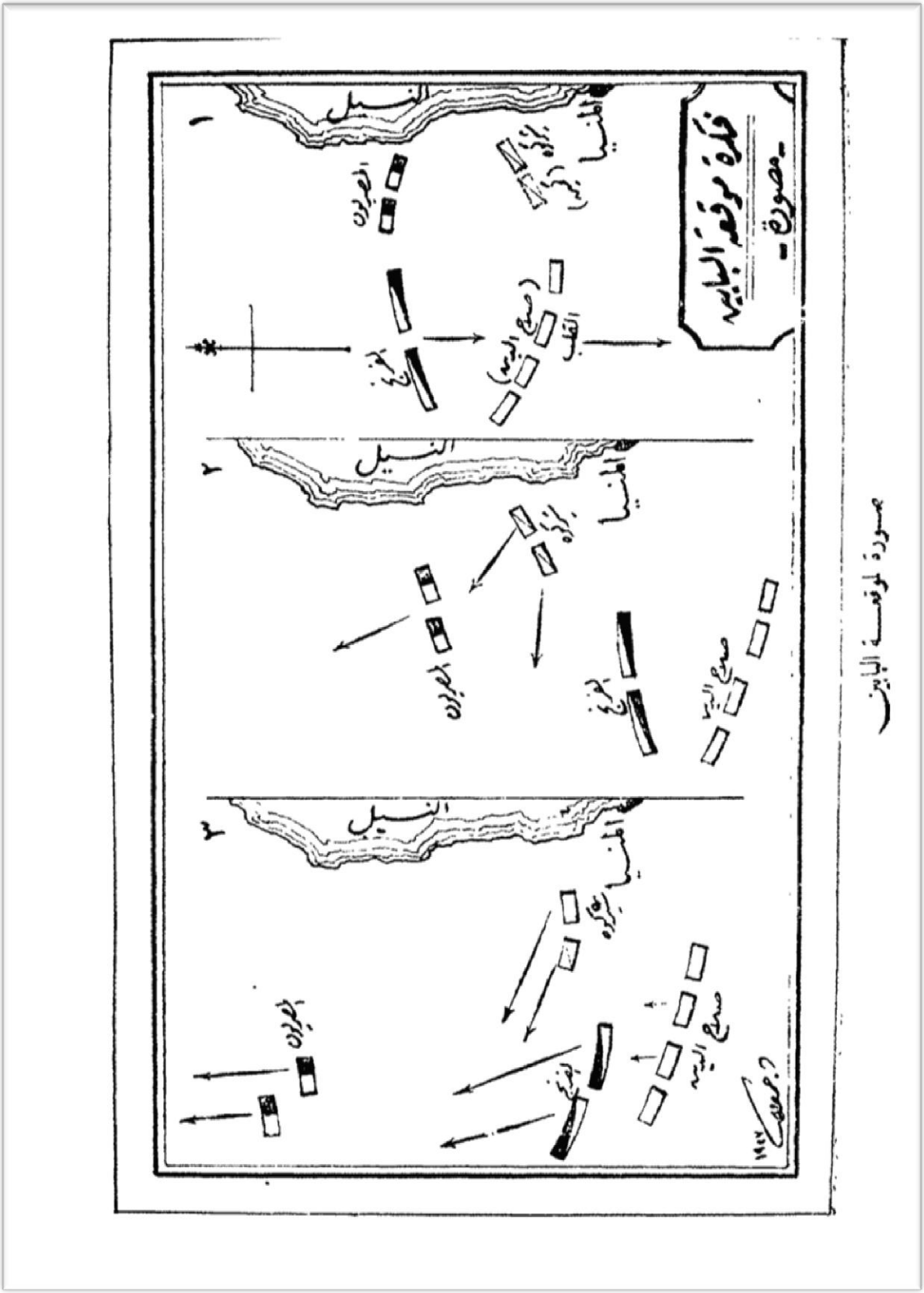

محمد فريد أبو فريد, المرجع السابق, ص 57.

ملحق رقم 11

سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث: المرجع السابق, ص 95.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1- ابن الأثير, أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ): **الكامل في التاريخ**, تح: محمد يوسف الدقاق, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط1, 1987م.

2- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت555هـ): **تاريخ دمشق**، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا،ط2، 1983م.

3- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، (د ط)، (د س ن).

4- ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ح س، كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط2، 1983م.

5- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفدا بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت 747هـ): **البداية والنهاية**، تح: عبد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1998م.

6-أبو العباس أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة،(د ط)،1914م.

7- أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي،(ت597هـ):**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

8-أبو المحاسن، جمال الدين بن يوسف أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي(ت874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1992م.

9- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي(ت665هـ):**الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية**، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2002م.

10- الأصفهاني،عماد الدين محمد بن حامد(ت1301م):**تاريخ دولة آل سلجوق**، مطبعة الموسوعات، مصر،(د ط)، 1990م.

11- البنداري، فتح بن علي،(ت583هـ):**سنا البرق الشامي**، تح: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، 1979م.

12- جمال الدين محمد بن سالم بن واصل(ت697هـ):**مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: جمال الدين الشيال، (د ط)، (د س ن).

13- الخطيب البغدادي, الحافظ أبو بكر أحمد أبي علي (ت463هـ): **تاريخ بغداد**, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, (د ط), (د س ن).

14- الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**, تح: عمر عبد السلام التدمري, دار الكتاب العربي, بيروت- لبنان, ط1, 1996م.

15- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ، 1374م): **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

16- سهيل زكار: **الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية**، (د د ن)، دمشق، سوريا،(د ط)، 1990م.

17- السيوطي, جلال الدين عبد الرحمان (ت 911هـ): **تاريخ الخلفاء**, دار أبي حزم, .لبنان, ط1, 2003م.

18- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان(ت 911هـ): **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ,تح: محمد أبو الفضل إبراهيم , دار إحياء الكتب العلمية, مصر,ط1, 1968.

19- الشهرستاني, الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ): **الملل والنحل**, تح: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1992م.

20- الطبري, أبو جعفر محمد بن الجرير (ت310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك**, تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصر, (د ط), (د س ن).

21- عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**, تح خليل شحادة, دار الفكر, بيروت, لبنان,2000م

22- محمد أدياب الإتليدي (ت1688م): **إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس**, دار صادر, بيروت- لبنان, ط1, 1999م.

23- مسكويه, أبو العلي أحمد بن محمد (ت421هـ): **تجارب الأمم**, تح: هـ. ن أمروز, دار الكتاب الإسلامي , القاهرة- مصر, (د ط), (د س ن).

ثانيا: المراجع:

24- بن عبد الله الحميدي عبد العزيز: التاريخ الإسلامي فيما بعد لخلفاء الراشدين مواقف عبر, دار الدعوة للطباعة والنشر, الإسكندرية- مصر, (د ط), 2004م.

25- بن عبد الله بن أحمد المغلوث سامي: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى, مكتبة العبيكان, الرياض- السعودية, ط1, 2009م.

26- بن موسىتيسير: نظرة عربية على غزوات الفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين الزنكي, الدار العربية للكتابة القاهرة- مصر, (د ط), (د س ن).

27- الحرير السيد علي: الأخبار السنية في الحروب الصليبية, الزهراء للإعلام العربي, مصر, ط3, 1985م.

28- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والإجتماعي, دار الجيل, كبيروت- لبنان, ط 14, 1996م.

29- حسن أسامة: الناصر صلاح الدين, دار الأمل, مصر, ط1, 1997م.

30- الخضري محمد: الدولة العباسية, بيروت- لبنان, ط7, 2005م.

31- حامد زيانغانم زيان: الصراع السياسي والعسكري بين القوة الإسلامية زمن الحروب الصليبية, دار الثقافة للنشر التوزيع, القاهرة- مصر, (د ط), 1983م.

32- سرور محمد جمال الدين: تاريخ الدولة الفاطمية, دار الفكر العربي, مصر, (د ط), (د س ن).

33- الشامي أحمد: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى, دار النهضة العربية, القاهرة- مصر, ط1, 1985م.

34- شلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية, مكتبة النهضة المصرية, مصر, ط5, 1990م.

35- طقوس محمد سهيل: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام, دار النفائس, بيروت- لبنان, ط3, (د س ن).

36- عاشور السعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية, مكتبة انجلوا المصرية, مصر, ط6, 1996م.

37- العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي, دار النهضة العربية, بيروت- لبنان, (د ط), (د س ن).

38- عبد العظيم أبو نصر محمد: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري, عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية, مصر, ط1, (د س ن).

39- عبده بلقاسم قاسم: ماهية الحروب الصليبية, سلسلة عالم المعرفة, الكويت, (د ط), 1990م.

40- غنيم إسمت: الدولة الأيوبية والصليبيين, دار المعرفة الجامعية, مصر, (د ط), 1990م.

41- فريد أبو حديد محمد: صلاح الدين وعصره, دار الكتب المصرية, مصر, (د ط), 1927م.

42- ماجد عبد المنعم: الدولة الأيوبية وتاريخ مصر الإسلامية "التاريخ السياسي (567-648هـ)(1161-1250م)", دارالفكر العربي, مصر, ط1, 1997م.

43- محمد مؤنس أحمد عوض: في الصراع الإسلامي الصليبي "السياسة الخارجية للدولة النورية", عيد للدراسات والبحوث الإنسانية الإجتماعية, مصر, ط1, 1998م.

44- محمود سعيد عمران: تاريخ الحروب الصليبية (1095-1291م), دار المعرفة الجامعية, مصر, (د ط), 2000م.

45- محمود محمد الحويري: بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين, دار المعارف, القاهرة- مصر, ط1, 1992م.

46- مسفر بن سالم عريج الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين في الشرق قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر(491-569هـ)(1097-1173م), دار المطبوعات الحديثة, المملكة العربية السعودية, ط1, 19866م.

47- مصطفى وهبة: موجز تاريخ الحروب الصليبية, مكتبة الإيمان, المنصورة- مصر, ط1, 1997م.

48- المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب, دار الغرب الإسلامي, بيروت- لبنان, (د ط), 1982م.

49- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام, الزهراء للإعلام العربي, القاهرة- مصر, ط1, 1987م.

50- النشرتي حمزة, عبد الحفيظ فراغلي, عبد الحميد مصطفى: الناصر صلاح الدين الأ4يوبي قاهر الصليبيين وصاحب موقعة حطين, مصر, (د ط), (د س ن).

51- وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية- مصر, (د ط), (د س ن).

ثالثاً- الكتب المعربة:

أ- المصادر المعربة:

52- ستاني لين بوول: صلاح الدين وسقوط مملكة 4القدس, تر: فاروق سعد أبو جابر, وكالة الأهرام للتوزيع, القاهرة- مصر, ط1, 1995م.

53- وليم الصوري: **الحروب الصليبية**, تر: حسن حبشي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر,(د ط), 1991م.

ب-المراجع المعربة:

54- أرنست باركر: الحروب الصليبية, تر: السيد الباز العريني, دار النهضة العربية, بيروت- لبنان, ط2, (د س ن).

55- أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب, تر: عفيف دمشقية, دار الفرابي, دمشق, (د ط), (د س ن).

56- البيرشاندور: صلاح الدين الأيوبي البطل الأ4بق في الإسلام, تر: السعيد أبو الحسن, نديم مرعشلي, دار طلاس للدراسات والترجمة, دمشق- سوريا, ط2, 1993م.

57- جوناثان ريلي سميث: الحملة الصليبية وفكرة الحروب الصليبية, تر: محمد فتحي الشاعر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر, ط1990,2م.

58- ستيفان رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية, تر:السيد الباز العريني, دار الثقافة, بيروت- لبنان, (د ط), 1997م.

59- فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس, تر: زياد جميل العسلي, دار الشروق, عمان, الأردن, ط2, 1990م.

رابعاً- المعاجم:

60- ابن المنظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصرية: لسان العرب, دار المصادر, بيروت- لبنان, (د ط), (د س ن).

61- بن عبد الله بن أحمد المغلوث سامي: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى, مكتبة العبيكان, الرياض- السعودية, ط1, 2009م.

62- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام, الزهراء للإعلام العربي, القاهرة- مصر, ط1, 1987م.

63- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية, مؤسسة الرسالة, بيروت- لبنان, ط1, 1996م.

64- ياقوت الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي: معجم البلدان, دار صادر, بيروت- لبنان, (د ط), 1977م.

خامساً- المراجع الأجنبية:

65- j. collin D E plancy: légendes des croisades, Depuis les premiers temps jusqu' a' nos jours, Appouve' par S.G.

66- Rene crousset: l e Poppée des croisades librairie académique Rerrin, paris, 1995-1962 .M g r l' Evêque d'Arras, de Boulangé et Saint-Omer

الفهرس

الفهرس

المقدمة..... أ

الفصل التمهيدي: أوضاع المشرق الإسلامي قبل تولي نور الدين السلطة..... 1

المبحث الأول: ضعف الخلافة العباسية..... 3

المبحث الثاني :إنقسام دولة السلاجقة..... 7

المبحث الثالث: الحملة الصليبية الشعبية و الأولى 9

المبحث الرابع :الدولة الزنكية قبل تولي نور الدين السلطة..... 13

الفصل الأول: دور السلطان نور الدين زنكي في الشام..... 16

المبحث الاول : توحيد القوى الاسلامية في الشام 19

المبحث الثاني: محاربة الصليبيين في الشام..... 34

الفصل الثاني: حملات السلطان نور الدين لبسط نفوذه على مصر..... 49

المبحث الاول: حملة نور الدين الاولى على مصر..... 53

المبحث الثاني: حملة نور الدين الثانية على مصر..... 59

المبحث الثالث: حملة نور الدين الثالثة على مصر..... 69

الخاتمة..... 85

الملاحق..... 89

قائمة المصادر والمراجع..... 101

الفهرس..... 109